جامعة الجزائر (2) -أبو القاسم سعد الله-
كلية العلوم الإنسانية
قسم الفلسفة

فلسفة اللامعقول عند ألبير كامو

مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:
- فتيحة عوداش

إشراف الدكتورة :
- آمال علاوشيش

السنة الجامعية :2017/2016

الفـــهرس

الفهرس.....
الإهداء.....
الشكر.....
المقدمة.....01-03
الفصل الأول: اللامعقول والإرهاصات.....05
المبحث الأول: فلسفة كامو وفكرة اللامعقول.....05
1-حياته وفلسفته..... 05
2-عوامل نشأة اللامعقول.....11
المبحث الثاني: ضبط مفهوم اللامعقول وفلسفته.....14
1-مفهوم اللامعقول..... 14
2-اللامعقول وفلسفته عند "كامو"..... 17
المبحث الثالث: مظاهر اللامعقول وتجلياته.....20
1-مسرح العبث ورواده.....20
2-الدادية والسريالية.....21
3-الفلسفة النيتشوية.....23
4-الفلسفة الوجودية..... 25
5-مدرسة التحليل النفسي..... 26
الفصل الثاني: اللامعقول ومبررات الخروج منه.....**28**
المبحث الأول: الإنسان في الوجود العبثي.....28
1- حقيقة الوجود والوجودية.....28
2-الإنسان في الوجود العبثي.....28
المبحث الثاني: دواعي الخروج من اللامعقول.....**42**
1-الانتحار الجسدي.....42
2-الانتحار الفلسفي.....49

الفهرس:

المبحث الثالث: أسباب العجز وعوامل الفشل.....51

1-العوامل النفسية والاجتماعية.....51

2-العوامل الاقتصادية والسياسية والثقافية.....56

الفصل الثالث: في مواجهة اللامعقول.....60

المبحث الأول: التمرد وأشكاله.....60

1-حقيقة التمرد مفهومه.....60

2-أشكال التمرد.....68

3-علاقة الثورة بالتمرد.....78

المبحث الثاني: من الثورة إلى التضامن.....**82**

1-مفهوم التضامن.....82

2-التضامن لتجسيد القيم.....82

المبحث الثالث: الفن والتحرر من اللامعقول.....**88**

1-مفهوم الفن.....88

2-الفن وسيلة لمواجهة اللامعقول.....89

الخاتمة 99

قائمة المراجع 102

إهـــــداء

الحمد الله رب العالمين.....كاشف الضر عن البائسين ومجيب دعاء المضطرين ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين بلغ الرسالة، وأدى الأمانة وكشف الغمة، ونصح الأمة رطب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها، سيدنا محمد أشرف المرسلين عليه الصلاة والسلام.

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدي الذي علمني أن المرء لا يعيش ليموت، بل يضحي بنفسه ويموت ليعيش الآخرون، أطال الله في عمره في الخير والصحة.

إلى والدتي التي علمتني أن الشمعة لا تحترق لتذوب، بل تذوب لتتوهج وتتوهج لكي يرى الآخرون، أطال الله في عمرها في الخير والصحة.

إلى كل إخوتي وأخواتي وأزواجهن وأولادهم وكل العائلة صغيرهم وكبيرهم.

إلى أصدقائي الذين علموني أن الحياة هي البذل والعطاء أو الفيض والسخاء، وأن ينبوع لا يملك سوي أن يفيض.

يقول أحدهم: إننا نحيا إلا على متناقضات، ومن اجل متناقضات فليست الحياة إلا مأساة وصراعا مستمر لا يعرف الانتصار، بل ولا حتى أمل الانتصار.....إنها تناقض، ولا شيء سوي التناقض

مقدمة

فرض تدهور وتقهقر الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في القرن العشرين جراء مجموعة من المسببات على رأسها نتائج الحربين العالمتين الأولى والثانية واقعًا لم يستطع الإنسان أن يعيش فيه لأنه واقع فقد معناه الحقيقي، من خلال تراجع القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية التي تعتبر أساسية في بناء أي مجتمع أو دولة سليمة، وكذلك انتشار الفوضى واللامبالاة حتى أصبح الوجود البشري على وشك الانهيار وأصبحت الحياة شبه مستحيلة بعدما انحلت روابط التآزر والأخوة والتضامن والتعاون العائلي والاجتماعي من غير أن تحل مكانها روابط إنسانية جديدة تدعو إلى السلام والوئام، وقد حلت محلها روابط العنف والاستغلال والحرمان والسيطرة والعداوة والحقد حتى بدا العالم كأنه أسلم نفسه للجنون بسب إنكار قيمة العقل وقدرته على المعرفة الحقيقية وإنكار سمو الإنسان وتعاليه وإنكار القيم الروحية ودورها في توجيه الإنسان نحو الصواب والمعقولية إلى جانب فقدان التوازن بين الإنسان والعالم.

هذا الواقع خلق تناقضات كادت أن تبلغ عتبة انفصام الإنسان مع نفسه وخضوعه إلى الانفعالات اللاشعورية غير الواعية التي ساهمت بدورها في خلق الشعور بالإحباط والاغتراب وفقدان الثقة والأمل في مستقبل جديد وهو ما جعله يعيش في حالة خوف وقلق وحيرة من مصيره لا يعرف كيف يواجهه، لأن العالم أصبح غير معقول، وهو الوضع الذي دفع الفلاسفة والمفكرين إلى البحث عن البديل لإيجاد حلول لتلك المعاناة والمأساة التي يعانيها، ويهدف إلى التخفيف من الألم والتنديد بالعنف ومحاربة كل أشكال العبودية والاستغلال، فظهرت فلسفات ومذاهب حاولت دراسة الوضع لإعطاء معنى للحياة بعدما سلبت منها، ومن بين هذه المذاهب أو الفلسفات: المذهب الوجودي أو الفلسفة الوجودية هذه الأخيرة التي اهتمت بوجود الإنسان وذاته وحريته في اختيار أفعاله أكثر من أي شيء آخر حيث ظهرت بقوة على الساحة الفكرية مع نشوب الحرب العالمية الثانية وكان هدفها النظر في سبب معاناة الإنسان بعد الحرب وعجزه عن التعايش مع الواقع، ما أدى إلى انتشار شعارات الثورة والتمرد والتضامن والسلام من أجل البحث عن الأفضل. في هذا السياق ظهر مفهوم اللامعقول عند "كير كيغارد" "Kierkegaard" (1813-1855) وهو أول من وضع هذه اللفظة فاللامعقول هو المجتمع الذي لا غاية له أي المنفصل عن جذوره الدينية وتقاليده وفي

ظل هذا المجتمع يصبح المرء ضائعا وكل ما صدر عنه عديم المعنى ولا فائدة ترجى من ورائه.

فاللامعقولية هي تصوير للإنسان القلق الضائع الذي لا يعرف مصيره في هذه الحياة وكذلك تعتبر انقلابًا جذريًا وثورةً على المفاهيم التقليدية في الأدب والفن، ودعوة إلى التحرر من مختلف الأفكار اللاعقلانية التي تنادي إلى العنف واستعمال القوة من أجل تحقيق الأمن والاستقرار، وتعد حركة من أبرز الحركات في تاريخ الفلسفة نظرًا لما أثارته من جدل ونقاش حول مضمونها وحقيقتها وهدفها، ويعد ألبير كامو "Albert camus" (1913-1960) من أبرز روادها الذي أدين وحكم عليه بالصمت والسكوت قبل أن يتمكن من قول كل شيء.

وقد اخترنا هذا الفيلسوف كنموذج في تحليلنا لهذا الموضوع لجملة من الاعتبارات على رأسها اعتباره من أكثر الفلاسفة تجسيدا لفلسفة اللامعقول ومكانة الإنسان فيها، ضف إلى ذلك قلة الدراسات الأكاديمية الفلسفية حوله، علما أن الأفكار التي جاء بها تصويرًا لحالة الإنسان في ظل الحروب المدمرة والأزمات المختلفة التي كان يتخبط فيها والتي أفقدته الرغبة في الحياة فخلقت عنده صراعا بين الماضي والحاضر والمستقبل، فهي أفكار تستحق الاهتمام والدراسة، لأنها تحمل معاني وخلفيات فلسفية تستدعي البحث فيها من أجل الوصول إلى المغزى الحقيقي ونشرها، ولكونه أيضا فيلسوفا وجوديًا نظر إلى الحياة نظرة تفاؤلية خالية من الأوهام والتعقيدات فهو حاول أن يعيد للحياة قيمتها وقداستها والسبب الآخر كونه فيلسوفًا معاصرا يملك روح الإبداع والمثابرة ومدافعًا عن حقوق الإنسان، خاصة خلال الحرب العالمية الثانية، وعليه فنحن نعتقد أن الموضوع الذي نقترحه للدراسة والبحث يتميز بالأصالة والجدة والحداثة ويستحق الاهتمام خاصة في عصرنا هذا.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتنا في البحث هي قلة المراجع والدراسات التي تعرضت لفكرة اللامعقول عند كامو بصفة خاصة، وفلسفته بصفة عامة خاصة في تخصص الفلسفة رغم أنه فيلسوف وجودي معاصر، ورغم ذلك حاولنا في بحثنا هذا الاعتماد على مصادره والتعامل بنصوصه بقدر المستطاع للوصول إلى غاياته من فلسفته الثورية التي تدعو

إلى التحرر من الاستغلال والقمع الذي تفرضه المؤسسات والإدارات التي سيطرت على تفكير الإنسان ونفسيته الذي وقع في مأزق التشيؤ. ولم يعد يستطيع أن يفكر أو يبدع أو يمارس حريته بأحاسيسه وشعوره وبرغبته دون تدخل الآخر في أدق خصوصياته، كما أن الهدف من هذه الدراسة هو محاولة تسليط الضوء على الأوضاع والظروف التي جعلت الإنسان يتمرد على واقعه ويثور عليه في نظر كامو من خلال محاولة معرفة الخلفيات والأسباب والدوافع التي تقف وراء ذلك.

وعليه تتمحور الإشكالية الرئيسية لموضوعنا فيما يأتي: **ما مفهوم اللامعقول عند كامو؟ وما أبعاده الفلسفية والأخلاقية والنفسية في فكر الإنسان وحياته؟ وكيف يكون الشعور بالعبث؟ وكيف للثورة والتمرد والفن أن يكونا أداة لتجاوزه؟ وما النتائج والآثار التي تخلفها فلسفة اللامعقول في فكر الإنسان وحياته؟**

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا في دراستنا المنهج التحليلي أولاً وأحيانا المنهجي المقارن والنقدي، وقد قسمنا موضوعنا إلى ثلاثة فصول.

الفصل الأول عرضنا نبذة عن حياة كامو والإرهاصات التي ساعدته علي كشف اللامعقول في الحياة وظروف نشأته ومفهومه اللغوي والفلسفي ومظاهره.

أما الفصل الثاني فعرضنا فيه حالة الإنسان النفسية والأخلاقية ضمن الوجود العبثي، وهو يصارع من أجل تحقيق غايته في الوجود، والمتمثلة في تحقيق حياة أفضل يعمها الأمن والدفء والاستقرار وكذلك الطرق والسبل التي اتبعها الإنسان للتعايش معه، إضافة إلى الأسباب التي كانت وراء فشله في الخروج من الوجود العبثي.

وتطرقنا في **الفصل الثالث** إلى كيفية مواجهة اللامعقول والخروج منه.

أنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها كامو من خلال طرحه لهذا المفهوم.

الفصل الأول:

اللامعقول والإرهاصات

الفصل الأول: اللامعقول والإرهاصات

المبحث الأول: فلسفة كامو وفكرة اللامعقول

1- حياته وفلسفته:

لم تنشأ حركة الإبداع التي عرفتها فرنسا في العصر الحديث في مختلف المجالات خاصة في مجال الفلسفة والأدب من العدم، بل كانت نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي أفرزتها الحربان العالميتان، والتي جعلت الكثير من الفلاسفة والمفكرين يحاولون إيجاد حل لها من أجل التخفيف من المعاناة والمأساة التي عاشتها البشرية، ومن هؤلاء الفلاسفة والأدباء "ألبير كامو"Albert Camus، هذا الأخير الذي يعتبر فيلسوفًا وجوديًا وكاتبًا مسرحيًا فرنسيًا جزائريًا من مواليد 7 نوفمبر1913 في موندوقي. عاش حياته في الفقر والحرمان حيث كانت أمه تنحدر من أصل إسباني، وأبوه "لوسيان" عاملا زراعيا قد قتل بعد ولادة ابنه الثاني "ألبير" بأقل من عام واحد في معركة المارن Marne (2-12-1914) بين القوات الألمانية والفرنسية والبريطانية خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918).

فهو من الفلاسفة الذين عاشوا طفولتهم وشبابهم في المعاناة والفقر والمرضى، حيث يقول: «أعرف أن منشئي يكمن في الظهر والوجه، في هذا العالم من الفقر والضياء الذي عشت فيه طويلاً، وحيث الذكرى لا تزال تحفظني من الخطرين المتناقضين من كل فنان»[1] فالفقر والمرض هما العاملان اللذان ساهما في تكوين الشعور بالاغتراب عند كامو حيث قضى أغلب حياته يعيش حالة وعي بالموت، ولعل المرض الذي أصابه مبكرًا (مرض السل)، كان السبب المباشر في إيقاظ شعوره بذلك [2]، حيث قضى شبابه يصارع الموت بسبب المرض الذي أقعده عن الكتابة والذي جعله يشعر بالاغتراب عن العالم. لقد كانت

1-Albert Camus, **l'envers et l'endroit**, (paris : Gallimard,1958), p 11.

2- Mareal Melançon, Albert Camus, **Analyse de sa pensée**, (paris : Edition universitaires fribourg ; Suisse, librairie klincksieck, France, 1976), p 78.

الحياة الشخصية لكامو مهددة بالموت بسبب المرض الذي أصابه وهو مرض السل[1]، ولكن رغم هذا الداء الذي أبتلي به في ريعان الشباب إلا أنّه أصر على مواصلة الدراسة والكتابة في مجال الفلسفة والأدب من أجل الدفاع عن المظلومين والمحرومين في هذا العالم الغريب حيث يقول «بدأت أحب الفن بذلك الشغف العنيف الذي جعله العمر أكثر فأكثر كليًا، بدل أن يخفف منه... وقد كان ذلك المرض يضيف إلى معوقاتي قيودًا أخرى هي من الأشد قسوة. لكنه قد شجع في النهاية حرية القلب وتلك المسافة الخفيفة من الاتهامات البشرية التي حفظتني دومًا من المرارة والامتعاض. منذ إقامتي في باريس وأنا مدرك أن هذا الامتياز ملكي. والواقع هو أنني استمتعت به دونما عوائق، فأنا ككاتب، بدأت أحيا محاطًا بالإعجاب، وهو بمعنى ما بمثابة فردوس أرضيّ، وأنا كإنسان، لم تكن أهوائي وشغفي أبدًا ضد ذلك، بل هي لطالما خاطبت ما هو أفضل مني أو أكبر»[2]، وعليه فإن المرض لم يقيده بل زاد من حريته التي كان يتمتع بها من أجل الدفاع عن القيم والمبادئ الإنسانية التي انهارت في عصره، ظل رافضًا لكل أنواع الظلم واللاعدالة سواء كانت اجتماعية أو سياسية أي مهما كان مصدرها. وكان يفعل ذلك اعتقادا منه أن اللاعدالة هي التي تجعل البشرية تعساء).[3] إن فكر "كامو" وفلسفته عامة لم تكن وليدة الصدفة أو العدم، أو مجرد أفكار عشوائية خيالية استخلصها من خياله، بل كانت نتيجة الظروف المختلفة التي عاناها وهو الوضع الذي جعل نفسه تمتلئ بأحاسيس الأذكياء من طبقة الكادحين من جيله: الشعور بالظلم، ومرارة التفاوت الاجتماعي بين الطبقات، واستعلاء الأغنياء والمترفين الثراء الفاحش وهي مشاعر تفضي عند النفوس الرقيقة إلى الاستسلام والرضا الحزين بالكفاف والفرار إلى عوالم خارقة يخلفها الوهم، على العكس من ذلك قد تؤدي إلى التمرد والثورة على الأوضاع والسخط الشامل، وأحيانا إلى التدمير والانتقام الطائش لدى النفوس العنيفة أو الواعية، ولهذا

1- Mareal Melançon, Albert Camus, **Analyse de sa pensée**, p79.

2- ألبير كامو، **عشب الأيام مفكرة الثالثة**، ترجمة نجوى بركات (بيروت: دار الأدب للنشر والتوزيع، ط1، 2013)، ص13.

3- Georg Geodert, **Albert et la question du bonheur** (saint Luxembourg , 1969), p95.

لم تكن أفكاره في هذه النواحي صادرة عن قراءات قرأها أو مبادئ عقلية مجردة استهوته وخلبت فضوله الفكري، بل كانت تنبع من أعماق الشعور بالتجربة الحية لما عاناه في حياته تلك إبان طفولته وصباه في أزقة مدينة الجزائر، ومن هنا كان الصدق في تعبيره، والعمق في إيمانه، والحرارة في نبراته.[1]

وعليه نلاحظ أن "كامو" لم يستسلم للظروف المعيشية التي كان يعيشها مع جيله رغم قساوتها، وإنما أصر على التعايش والتكيف معها من أجل محاربة كل أشكال العبودية والظلم والسخط وذلك عن طريق الرفض والثورة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أفكاره إنما هي نابعة من ذاته ومن تجربته، حيث كانت جل كتاباته تحمل في صفحاتها الصدق باعتبارها تعكس معاناة عصره، خاصة خلال الحرب العالمية الثانية. ذاك الجو الذي كان يسوده العنف بجميع أشكاله، سيادة قانون الغاب، وغياب روح الإنسانية وتراجع القيم الأخلاقية وهو ما أكده الطبيب النفساني النمساوي (1856-1939) "سيجموند فرويد" " Sigmund Freud" في قوله: «الحرب اندلعت، وباندلاعها تبددت الأوهام، وكانت حربًا ضروسًا تسفك وتدمر أكثر من أية حرب أخرى من الحروب الخوالي، بسبب التطور الهائل الذي استحدث في أسلحة الهجوم والدفاع، ولكنها كانت كغيرها من الحروب، مريرة وعنيفة وحقودة وعنيدة قوضت كل المواثيق المعروفة باسم القانون الدولي، التي التزمت بمراعاتها كل الدول في زمن السلم، وتجاهلت ما للجرحى والخدمات الطبية من حقوق، ولم تميّز بين عسكريين ومدنيين، ولم تراع حقوق الملكية، داست في صورة عمياء على كل ما صادفها كما لو أن الإنسانية بعدها لن تقوم لها قائمة ولن يكون بين البشر صفاء، وهتكت كل الأوامر ومزقت كل الروابط بين الشعوب المتناحرة، وتهدد بأن تخلف ورائها ميراثا من الحقد والمرارة يجعل من المستحيل لزمن طويل تجديد هذه الروابط وبعثها».[2]

1- عبد الرحمن بدوي، **دراسات في الفلسفة الوجودية**، (بيروت، المؤسسة العربية للنشر، ط1، 1980)، ص ص (201،202).

2- سيجموند فرويد: **الحب والحرب والحضارة والموت**، ترجمة عبد المنعم الحنفي، (القاهرة، دار الرشاد، ط1، 1992)، ص13.

إن قسوة الحرب العالمية الثانية على الإنسانية جعل الإنسان بصفة عامة والأوربي بصفة خاصة يلتفت إلى عوامل هذه الحرب ومسبباتها وإلى نتائجها الكارثية، ويتحدى هذه الصدمة التي كان لها دور فعال في إفراز العقل الأوروبي لأفكار جديدة وفلسفات معاصرة ساهمت في الدفاع عن الإنسانية، أمثال أفكار "Jean-Paul Sartre" جون بول سارتر(1905-1980)، ومارتن هيدجر"Martin Heidegger" (1889-1976)، وفيلسوفنا الذي يعتبر أحد أعمدة الفكر الوجودي الفرنسي، خاصة بعد حصوله على جائزة نوبل في الأدب عام 1957.

تأثر بفلاسفة الإغريق أمثال أرسطو"Aristole" (384ق.م-322ق.م)، وأفلاطون"Aflaton" (427ق.م-347ق.م)، وبفلاسفة العصر الحديث أمثال أدموند هوسرل "Edmund Husserl" (1859-1938) وكارل ياسبرس"Karl Yaspers"(1883-1969)، نجاحه كما يقول "ديفيد شيرمان" " David Sherman" إنما يعود إلى تأثره بالفلسفة اليونانية وهو ما يظهر في موضوع رسالة التبريز التي ناقشها بعنوان "**الأفلاطونية الجديدة والفكر المسيحي**") [1] وكذلك إلى تأثره بأستاذه جون-جرونييه وهو ما يصرح به عندما اعترف بصدى فكر أستاذه في كل ما كتبه [2] فكل هذه المؤثرات أثرت عليه إيجابا ومكنته من إنتاج أروع الأعمال الأدبية منها والفلسفية مثل **رواية الغريب**(1942) **وأسطورة سيزيف**(1942) **ورواية الطاعون**(1947) **والإنسان المتمرد**(1951) **والمنفى والملكوت**(1957)، وغيرها من الأعمال التي مكنته من أن يكون فيلسوفا وجوديًا يتمتع بروح البحث والتفلسف وأن يتقلد وظائف عديدة منها: التدريس في الجامعة بين عامين(1949)، (1950) ومحررا صحفيا في جريدة الجزائر **جمهورية** سنة (1938) إلى إدارة المسرح.

1- ديفيد شيرمان: ألبير كامو، **ترجمة عزة مازن** (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011)، ص22.

2-Dimitri Papa Mulamis, **Albert camus et la pensée grecque**, (Ressue de la méditerranée, 1959), p 137.

إن فلسفة "كامو" مستمدة من حياته وحياته مستمدة من فلسفته، فقد عاش حياة رائعة معقدة يسمها الصراع إلى أقصى حد. وهذا هو حال البشر من ذوي الثقافة الرفيعة، فرغم احتواء فكره على مفاهيم ذات صلة بالفلسفة الوجودية إلا أنه أنكر أن يكون فيلسوفا وجوديًا حيث يقول: «لست فيلسوفا لأني لا أومن بالعقل بما يكفي، ولا بالأنظمة السائدة، فما يروقني هو معرفة كيف يجب أن نتصرف عندما لا نؤمن بالرب أو العقل، لست وجوديا، مع أن الفلاسفة بالطبع مجبرون على التصنيف، حصلت على انطباعاتي الفلسفية الأولى من الإغريق، وليس من ألمانيا في القرن التاسع عشر والتي هي أساس الوجودية الفرنسية الحديثة»[1] وبموقفه هذا يتبرأ وينكر بشدة كونه فيلسوفا لأن الفلاسفة في نظره يؤمنون بالعقل وهو ليس كذلك–وكونه وجوديا رغم تصنيفه ضمن الفلاسفة الوجوديين لأن انطباعات فلسفته الأولى قد استمدها من اليونان وليس من الألمان خلال القرن التاسع عشر.

وعليه فإذا أنكر "كامو" كونه فيلسوفا وجوديا يحمل على عاتقه مسؤولية المأساة والمعاناة التي كان مجتمعه يتألم منها محاولا بفكره وفلسفته التنديد بها والدعوة إلى تجاوزها والتمرد عليها فمن يكون كامو إذن؟

هو فيلسوف وجودي ومفكر دون قيد أو شرط وهذا ما أكدته كتاباته الأدبية والفلسفية من جهة وما أكده الدارسون لفكره وفلسفته عندما قسموا فكره إلى ثلاث مراحل هي:

- **<u>المرحلة الأولى</u>:** عبارة عن فترة من الحساسية واللاأخلاقية وتمتاز بجنوحه إلى العيش دون محاولة اختراع أية دلالة في الحياة وبغير إعطاء معنى لهذا الوجود، وهو ما يتجلى في معاناة إلى جانب التهديد الذي يتمثله في معاشنا الإنساني على صورة مفاجئة أو بأس قاطع أو تلاشي حاسم. لقد كان يعرف أنه ليس ثمة أي خط علوي أو حياة طوباوية طويلة، ولا وجود للأبدية في حدود نطاق آخر سوى هذا النطاق المضروب حول حياتنا اليومية، فهذه الأشياء المحيطة به وتلك الحقائق المحسوسة لدى تحركه وحدها، أما

1- Albert camus, interview : **in théâtre, récits nouvelles**, bibliothèque de la pléçade, (paris, Gallimard, 1962), p129.

المثاليون فلم يكن يظن أنه يملك القدرة على فهمهم، هذا لا يعني أنهم أغبياء بالضرورة ولكن بالرغم من هذا فإنه لا يجد معنى للذة الخلود وسعادة الأبدية[1]. وفي هذه المرحلة يستدل (كامو) بـ "أسطورة سيزيف" ذلك العبد الذي لم يتوقف لحظة عن عبوديته حين كان يدفع الحجر الثقيل إلى أعلى الجبل، لكن هذا الحجر يسقط ويتدحرج إلى الأسفل، بينما يكرر سيزيف العملية دون توقف وهذا ما يدل على لا معقولية الوجود، وهذا إن دل على شيء إنّما يدل على أن الإنسان في نظر "كامو" يعيش حياة يعمها الروتين الذي يتم كسره بالجهد والعمل المتعب دون توقف.

- **المرحلة الثانية:** سيحاول فيها أن يكشف ما يدور من حوله، وذلك من خلال طرح عديد من التساؤلات التي تثير الشكوك، وهنا أصبح فكره متطلق إلى التفلسف والتفسير وهو ما ساعده على كشف فكرة العبث واللامعقول.

في هذه المرحلة نلاحظ تأثره بالفلسفات القديمة، حيث نجد منه قبولاً لوجوده المهدد بالفناء ونجد لديه استشعارا بالفرحة نتيجة لهذه المحدودية في المعاش الإنساني... إنّه يستمد فرحة المباشر من وجوده ويلتمس رضاه الشخصي في حياته السالكة سبيل العدم، ومأساة المصير لا تأتي إلا من فناء هذا الجسد، مع أنه وحده عنصر الخير في هذا العالم [2].

- **المرحلة الثالثة:** في هذه المرحلة من تفكيره تأثر بالحرب العالمية الثانية بما أنتجته من مأساة ودمار شامل للعالم والضياع والتشتت، هذه مرحلة جعلته يتعايش مع الحدث بفكره وروحه، حيث يشهد الحرب الأخيرة ويلمس بتعاسته آلام البشرية، ويعاني من قريب مشكلات الإنسان الحائر بين أطماعه ومصالح الأخرين، فنجده تعيسًا وقد بدأت تتبلور روحه وتتشكل بصورة أخلاقية جديدة وهذه المرحلة الثالثة والأخيرة هي مرحلة التفكير الأخلاقي) [3]

1- عبد الفتاح الديدي: **الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة**، (مصر: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثانية، 1915)، ص149.

- عبد الفتاح الديدي: المرجع نفسه، ص 2.150

3- عبد الفتاح الديدي، **الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة**، ص 150.

وبناءًا على ما سبق نقول إن أعمال "Albert camus" "كامو" وشخصيته وحدة متكاملة لأنه لا يمكن أن نفصل فيما بين الفيلسوف والكاتب، ولا بين رجل السياسة ورجل المجتمع والأخلاق فهو مفكر عصره وطريقة تفكيره قد استمدها من حياته ومجتمعه.

2- عوامل نشأة اللامعقول:

إن فكرة اللامعقول التي نادى بها "كامو" في معظم كتاباته كانت نتيجة عدة ظروف ساهمت في ظهورها وتطورها. وهذا بفضل مجموعة من الفلاسفة على رأسهم (سورين كير كجراد) "Soeren Kierkegaard" الفيلسوف الدنماركي المعاصر(1813-1855)) وجون بول سارتر "Jean Paul Sartre" (1905-1980) وألبير كامو(1913-1960) وغيرهم من الفلاسفة الذين ساهموا في بلورة هذه الفكرة، فكامو وإنّ لم يكن أول من صاغ تجربة العبث أو مفهومه العقلي، إلا أنّه ربما كان أول من صاغ معناهما الخاص كما نفهمه، بالطبع تغير العالم تغيرًا كبيرًا من بداية الأربعينات، إلاّ أن إنسان العصر ما بعد الحديث لم يتجاوز بعد الظروف الاجتماعية التاريخية التي صيغ مفهوم العبث في ظلها، وهي ظروف الكساد الكبير والحرب العالمية الثانية والافتقار الضخم والإبادة غير المبررة منطقيا كاستخدام الغاز في قتل سجناء المعسكرات والاعتقال وإلقاء القنابل على السكان المدنيين [1] ومعنى هذا أن فكرة اللامعقول تجسدت بشكل واضح مع الحربين العالميتين الأولى والثانية، بما خلفتهما من آثار سلبية على البشرية في جميع الميادين وهوما جعل الفلاسفة ينظرون إلى العالم الذي غابت عنه القيم والمبادئ الإنسانية نظرة تشاؤمية من خلال قولهم أن العالم لا معنى له لأنّه جعل الإنسانية أو البشرية تعاني المأساة والمعاناة، ويرجع زكي نجيب محمود أسباب ظهور اللاّمعقول إلى سببين أولهما يتمثل في علم النفس هذا الأخير الذي يبحث في نفسية الإنسان وما تعانيه، والثاني يتمثل في الدراسات التي قامت بالبحث عن أهمية العقل والمنطق اللذين حاولا فهم انفعالات الإنسان وإرادته في مواجهة الصعوبات. [2] ومنه لم يكن للبشر حول ولا

1- ديفيد شيرمان: **ألبير كامو**، ص 34.

2- زكي نجيب محمود: **المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**، (بيروت: دار المشرق)، ص368.

قوة في مواجهة هذه الكارثة، وهذا ما أكده "كولن ولسون" (1931-2013) أيضًا في عديد كتاباته حيث يقول: «إن الجو الذي يتميز به عالم اللامنتمي المعاصر جواكريه جدًا فالأشخاص لا يرفضون الحياة فحسب وإنما يعاديها الكثير منهم، وهذا ما يوحي بنوع من الغرابة واللاحقيقة انتجتها ظروف العصر القاسية والقاهرة، فقدان المعنى والهدف يجثم على أدبنا وفننا وفلسفتنا فتحليل العالم للمشكلات العلمية يزيد في اتساع هفوة الفراغ المؤلم، ومن خلال هذا تبدو الثقافة الغربية تعاني الانهيار والانتكاس لما لا يقل عن مائة سنة»[1] معنى هذا أنه يمكن القول على العموم أن الفلاسفة الوجوديين رأوا عدم إمكانية فهم الكون لأنه يسوده التناقض والعبث منه فالعقل بالتالي فشل في فهمه، عملوا على تحطيم وتدمير النظرية العلمية القائمة على أن العقل بالتالي يعتبر مصدر المعرفة، هذا من جهة ومن جهة أخرى أن الإنسان في حد ذاته حاول التأقلم والتكيّف مع هذا الوجود إلاّ أنه عجز عن ذلك بسبب ما عاناه من صور العزلة والضياع والاغتراب وفقدان للأمل إلى انتصار العبث الذي لا يحمل مدلولاً مأساويا من أجل التفكير الفائق الذي هو عليه ويكون بالتعريف ما ليس له مدلول.[2] معنى هذا أنه ظهور اللامعقول كان نتيجة الفوضى واللامبالاة والفراغ الروحي الذي عاشته الإنسانية خاصة في أوروبا، والمعاناة التي عاشها الكتاب وتجاربهم المريرة التي تعد من البواعث النفسية التي دفعت بهم إلى فضح ما يسود المجتمع من زيف وتناقض ومظاهر لا معقولية بحيث تكون حياة بعضهم وتجاربهم كأصل من الأصول الاجتماعية والفكرية في أعمالهم وقد اعتمد كثير من الدارسين في تفسير أعمالهم دراسة حياتهم الشخصية.[3]

معنى ذلك أنه تعرض العالم أو الوجود إلى الدمار والخراب وغياب القيم الأخلاقية أصبح الجو لا يساعد الإنسان على مواصلة الحياة. حيث يضيف "كولن ولسون": «إن هؤلاء

1- كولن ولسون: **ما بعد اللامنتمي**، ترجمة يوسف شرور عمريمق، (بيروت: منشورات دار الأدب، ط5، 1981)، ص15.

2 -Henri Gohier: le **théâtre et l'existence**(paris, Edition Montaigne, 1952), p44.

3- إليا الحاوي، **بيكيت في مسرحه ومسرحياته**، (بيروت: دار الثقافة، 1985)، ص60

الناس مقيتون، ضد الحياة، لأنهم يجلسون في غرفهم، مجردين من الدوافع، يظنون أنه ليس هناك من سبب معقول لفعل شيء آخر، إنّ هذا العالم المجرد من القيم هو عالم في أساسه في حين أن عالم الطفل وجوه فواح بالأمل. ويلوح مخزنًا كبيرًا في عيد الميلاد وكأنه عالم جديد، إلاّ أن اللامنتمي مريض الروح، يرى أن العالم الجديد إنّما يبعث على الرعب، لأنّه يمثل بالنسبة إليه آلية عالم الحضارة وميكانيكيته المتشبعة تشعب خطوط الأسطوانة، والذي يلوح وكأنّه يقف بينه وبين الحرية». [1] ويفهم من هذا أن الظروف النفسية والاجتماعية والسياسية المزرية التي كان الفلاسفة والمفكرون يمرون بها جعلتهم يترجمون أفكارهم وتجاربهم باتباع أسلوب جديد وهو مسرح اللامعقول، أي في إطار الفلسفة الوجودية. وذلك من أجل الترويج عن أنفسهم وكشف حقيقة الوجود العبثي. ومن جهة أخرى يرى البعض أن ظهور اللامعقول كان نتيجة الظروف الاقتصادية التي وصلت إلى الرخاء والازدهار خاصة مع الرأسمالية، حيث كان الكتاب من أصحاب الوعي السياسي في أيام الرخاء يشعرون بأنهم ليسوا سوى أصواتا تصرخ في فقر روحي، ولما أضحى الفقر ماديا كذلك واعترف الجمهور لأول مرة بأن الأمور ليست على ما يرام، بدأت أفكار الكتاب تجد طريقها إلى الناس الذين راحوا يصغون إليها، وأخذت هذه الأفكار بدورها طابعًا محددًا، ذلك لأن المشاكل أصبحت محددة. [2] وحسب (إريك فروم) فإن مالم يراه الكثيرون ممن قبلوا هذه التنمية كمنفعة أساسية حتمية هو حقيقة أن الإنسان لم يخلق ليكون سلبيًا، شيئًا فاقدًا للحياة، وأن حالة الفصام المزمنة الضعيفة والاكتئاب الذي نراه في بدايته الآن، سوف تقود إما إلى انفجار العنف للجنون أو إلى فناء هذا المجتمع بسبب افتقاره للحيوية. [3] ومنه فالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية والفلسفية التي عاشتها فرنسا بصفة خاصة وأروبا بصفة عامة دفعت بالفلاسفة والمفكرين إلى التنديد بها، خاصة بعد غياب القيم الأخلاقية

1- كولن ويلسون، **اللامنتمي**، ص51.

2- باميير جاكسون، **الدراما في القرن العشرين**، ترجمة فتحي مر، لويس عوض (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بدون سنة)، ص 27.

3- إريك فروم، **كينونة الإنسان**، ترجمة محمد حبيب، (سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2013)، ص 60.

وتراجع المبادئ الإنسانية وانتشار عادات وتقاليد بالية وزائفة جعلت الوجود لا يحتمل والحياة فيه مستحيلة وبلا معنى.

المبحث الثاني: ضبط مفهوم اللامعقول وفلسفته:

أ- مفهوم اللامعقول:

يعرفه جميل صليبا: اللامعقول بأنه المناقض للعقل، أو الغريب عن العقل، ويقابله المعقول، واللامعقول عند "بيرسون" هو الذي يتجاوز حدود العقل، أو الذي يقف عند التفسير المنطقي للأشياء، هو اللامفهوم الذي لا يستطيع إدراكه أو تفسيره بأسباب مقبولة في العقل. وأخيرا هو اللامنطقي، ويطلق على العدد الأصم، وهو الذي ليس بينه وبين الواحد اشتراك في القياس[1]، كما يطلق هذا المصطلح اللامعقول على جماعة من الدراميين في حقبة 1950. [2]

فهو مصطلح يدل على العبثية أو منافاة العقل... فالثرثرة عمل لا معقول لدرجة أن المثل الشعبي الأمريكي يصف المتحدث الثرثار بأنه يتحدث وكأن قلبه كتاب، كما أن من غير المعقول ثبات الأحوال، فقد قال هيرا فيلس (540ق.م) أن الشيء الوحيد الثابت هو التبدل المستمر. [3]

واللامعقول بالمعنى الحقيقي هو كل ما يخالف قواعد المنطق، إن فكرة متمعنة هي فكرة تكون عناصرها متعاندة. وإن حكما محالا هو حكم يحتوي أو يشمل على لا جدوى ولا نتيجة وإن استدلالا مستحيلا هو استدلال فاسد شكلاً، العبّثية هي لا معنى: سمة ما هو ممتنع، عبثي، مستحيل، فكرة أو خطاب بلا معنى. [4]

1- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي ج2**، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، 1982)، ص ص (276-275)

2- عبد الواحد لؤلؤ: **موسوعة المصطلح النقدي اللامعقول**، (المجلد الثاني، الطبعة الأولى)، ص 15.

3- عبد المعطي الخفاف، **المعقول واللامعقول**، (دون مكان: دار الشروق، ب ط، 1999)، ص 36.

4- أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، المجلد الأول، تعريب خليل أحمد خليل، (بيروت: منشورات عويدات، ط2 2001)، ص ص (15-14).

اللامعقول هو عبث وعبث به عبثا، لعب فهو عابث بما لا يعنيه، وليس من باله، والعبث أن تعبث بالشيء، ورجل عبثي عابث، والعبثية بالتمسكن المرة الواحدة، والعبث: اللعب [1] – كل ما هو عبث ليس له هدف، يعد مبتورًا من جذوره الدينية والميتافيزيقية فيبدو الإنسان ضائعًا، وكل محاولاته تصبح عديمة الجدوى، بلا طائل، بل تبدو خائفة [2]. فاللامعقول واللاجدوى تكمن في مقارنة نتائج مثل هذا التعليل مع الواقع المنطقي الذي يريد المرء أن يقيمه، وفي كل هذه الحالات من أبسطها إلى أشدها تعقيدًا، يكون مقدار اللاجدوى متناسبا بصورة مباشرة مع البعد بين نقطتي المقارنة، هناك زيجات لا مجدية، وتحديات وأحقاد وصمت وحروب وحتى معاهدات صلح لا مجدية. [3] كما يقول كامو: «وتنبثق اللاجدوى بالنسبة لكل تلك الأمور من المقارنة، ولهذا فلدي ما يبرر قولي إن الشعور باللاجدوى لا ينبثق من مجرد دقة حقيقية أو انطباع، وإنّما من المقارنة بين حقيقة مجردة وواقع معين، بين الفعل والعالم الذي يفوق طبيعة ذلك الفعل، واللاجدوى هي بصورة أساسية افتراق، وهي لا تكمن في العناصر التي تتم مقارنتها، وإنما تولد من مواجهتها ببعضها. فاللاجدوى ليست في الإنسان وليست في العالم، وإنّما في وجودهما معًا، وهي الرابطة الوحيدة التي تجمع بينهما الآنّ».

ومصطلح اللامعقول يعني أيضا المحال، اللاجدوى، اللامنطقي، العبث، اللامجدي... فهي كلها مصطلحات فلسفية وجودية أطلقت للتعبير عن استحالة الحياة في هذا الوجود والعالم.

إن الشيء المتنافر غير المتناغم، غير المتوافق أو غير المنسجم، فيصبح ذلك الشيء –أيا كان–غير معقول وعبثيًا، أما على وجه التحديد، فإن الشيء غير المعقول هو وضع الإنسان في الكون الذي نحن فيه كجزء من مجموع الذرات، ويكون الشيء العبثي هو

1– إبن منظور: **لسان العرب**، (بيروت: دار لسان العرب، 1988، ج4)، ص663.

2–Eugèn Lonexo : notes **et contre notes**, édition, (paris : Gallimard), p232.

3– ألبير كامو: **أسطورة سيزيف**، ترجمة أنيس زكي حسين، (بيروت: منشورات دار مكتبية الحياة، لبنان، 1983)، ص39.

العلاقات غير المتوافقة، وبالتالي فإن الشيء غير المتناغم أو المتنافر وغير المنسجم هو: وضع الإنسان مع نفسه المليئة بالتناقضات التي يصعب التخلص منها بدون المعرفة) [1]هو كل ما لا يملك أي معنى تماما أو أي علاقة منطقية مع بقية النص، والعبث في الفلسفة الوجودية يعني العبث هو مالا يمكن تفسيره بالعقل، وما لا يستطيع الإنسان تبرير فلسفيًا أو سياسيًا، وأما في المسرح، فالعبثية هي عندما لا نستطيع الوصول إلى إعادة وضعها في سياقها الدراسي والإيديولوجي.[2]

ومنه يطلق مصطلح اللامعقول إما:

- على مالا يعقل أي مالم يعرفه العقل بعلم وبوعي، بمنطق وبمنهج، ومالم تحوله العقلانية النقدية، بوصفها عملية إجرائية–اقتضاءيه إلى موضوعه متمايزة فكريًا.
- وإما على مالا يتقبله العقل العلمي كحقيقة أو يقين مثبوت ببرهان اختبار، فيكون اللامعقول موضع شك واشتباه، ويدخل غالبا في نطاق الرأي، أو المنطوق التخميني ويسمى منتج اللامعقول رائيًا ارتيائيًا، مخمّنًا، يرى الأشياء بظنه وتخيله المحض، لا بعقله وخياله الإجرائي ومنهجه الاختياري [3].
- وإما على ما لم يفتكر به، سواء أكان ذلك بسبب خفائه وغموضه، أو بسبب تحريمه الاجتماعي أو خطره السياسي، فلا تكون هناك مصلحة في معرفته، ويكون السكوت عنه مطلبًا ولزومًا، مما يجعله من متروكات اللامعنى التاريخي ومقتضيات (صرف النظر) هناك حيث يقتضي النظر والنظار والنظرية العلمية، وفي المقاصد الاستعمالية يقال اللامعقول:
  - على الشيء غير المعقول بمعنى غير المفهوم، غير الممكن حدوثه، وإذا حدث يكون عجبًا.

– علاء الدين العالم، **تيار العبث بين الفلسفة والمسرح**، في مجلة: دلتاتون، العدد الأول، 2014، ص 1.02

2– Patrice Paris, **dictionnaire du théâtre**, Edition sociales, 1987, p 21.

– خليل أحمد خليل، **علم الاجتماع وفلسفة الخيال**، (بيروت: دار الفكر اللبناني، ط1، 1997)، ص 2733

- على العجائبي الغرائبي والإعجازي والخارق والسحري والديني، وفي كل حال، يقال على المجهول، الأخفى والأقدس.
- على ما فوق المعقول أي ما وراء العقل الذي ينتجه [1]

واللامعقول هو: ما يناقض العقل ومنه الخارق للعادة أو تجاوز الحد الذي يقف عنده المنطق والتفسير العقلي للأشياء وهو ضد المعقول. [2] وهذا هو اللامعقول بصفة عامة.

ب- اللامعقول وفلسفته عند كامو:

تكمن فلسفة اللامعقول هذه في أن الوجود غير معقول كما يقول كامو «وجود اللاجدوى هو في البداية، والنهاية الكون اللامجدي وذلك الموقف الذهني الذي يسير العالم بألوانه الحقيقية لإظهار المظهر الثابت الذي عرفه ذلك الموقف في تلك النهاية»[3] واللامعقول يكمن أيضًا في هذا الصراع القائم بين العالم اللامجدي واللامعقول وتلك الرغبات المضطربة التي يعيشها الإنسان، «فيحدث أن مشاهد المسرح تتهدم بالنهوض والباص وأربع ساعات في الدائرة أو المصنع ووجبة الطعام والنوم والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت طبقا للنسق نفسه-من الممكن السير في هذه الطريق بسهولة دائما» [4]، فهذه الأفعال التي يقوم بها الإنسان يوميا هي التي تشعره باللامعقول والعبثية في الحياة.

(فاللامعقول هو معطى أني وفوري للوعي أي أن النفاذ إليه يتم بطريقة حدسية مباشرة، ويعني ذلك ان الشعور به قد يفاجئنا عند منعطف شارع او قد يستولي علينا ونحن نباشر أكثر أعمالنا سخفًا) [5]معنى هذا أن يكون صدفة وتجربة شخصية لا يمكن للغير أن يحياها، لأنّ الشخص الذي يحيا هذه التجربة هو وحده الذي يمكنه أن يحكم على أن هناك

1- خليل أحمد خليل، **علم الاجتماع وفلسفة الخيال**، ص ص (273، 274)

2- إبراهيم مدكور، **معجم الفلسفة**، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1982)، ص 150.

3- ألبير كامو: **أسطورة سيزيف**، ص ص (21-20)

4- ألبير كامو: **المصدر نفسه**، ص21.

5- محمد يحياتن: **مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية**، (بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية الجزائر، 1984)، ص31.

وجود عبثي وبالتالي هو وحده الذي يعاني اللامعقول. هذه الفكرة لم تكن عند "كامو" محض صدفة أو فكرة عبثية في كتاباته وإنما أفرزه الدمار الشامل للحياة البشرية والمأساة والقلق أو لنقل حياته الشخصية التعسية التي كان يعيشها وهو ما سبق الإشارة إليه سابقًا.

ومنه فإننا في نظره عندما نشعر باللامعقول سوف نرتبط به للأبد، والإنسان عندما يشعر يوما بأنه مستول على حياته فيعيش في الروتين والدوامة، بالرغم من أنه أوجد قوانين هذا العالم وفهمها، إلا أنه لا يستطيع الفرار منه.

يقول كامو: «إن الإخفاق يكشف لنا-عبر كل تعبير وتأويل ممكن-عن وجود الأمور العالية، لا عن عدمها، وهكذا أصبح اللامعقول نفسه إلهامًا، وأصبح العجز عن الإدراك إدراكا يوضح كل شيء، ولكن ليس ثمة منطق يمكن أن يبرر هذا الاستنتاج» [1] معنى هذا أن الوجود عند الإنسان هو الوجود الروتيني والعبثي والآلي الذي يبعث في نفوس البشر الشعور بالملل والقلق، هذا الشعور هو الذي يولد اللامعقول في ذهنه فيرى كل شيء غير منطقي وغير واضح وبالتالي يفقد السيطرة على العالم. اللامعقول أو المحال الذي يظهر في حركات الإنسان وتصرفاته اليومية وهوما يراه كامو لا يكمن في الخارج، أي أنه خارج سيطرت الإنسان، بل هو ماثل أيضا في قرارة الإنسان بالإضافة إلى ما يقوم به من الحركات العادية واليومية حيث يضيف « والبشر أيضا يحتفظون في أنفسهم باللابشرية في لحظات معينة من الوضوح والمظهر الميكانيكي لحركاتهم، تجعل تلك الحركات الخرساء السخيفة التي لا معنى لها كل شيء يحيط بهم يتصف بتلك السخافة، رجل يتحدث في التلفون وراء حاجز زجاجي، أنت لا تستطيع أن تسمعه، ولكنك ترى منظره الصامت غير المفهوم وتتساءل: لماذا هو حي؟ فهذا وهذا-الغثيان*-كما يسميه أحد الكتاب اليوم، هو أيضا اللاجدوى»[2]

1- عبد الرحمن بدوى: **دراسات في الفلسفة الوجودية**، ص 211.

***الغثيان:** رواية لجون بول سارتر.

2- ألبير كامو: **أسطورة سيزيف**، ص 23.

يوجد اللامعقول داخل نفسية الإنسان بل ويسكن فيه لأنه عندما يحاول أن يعطي لنفسيته برنامجا معينًا يسير عليه، يجد نفسه يكرر تصرفات سخيفة لا معنى لها في حياته، هذا الإنسان موجود لغرض فما هو يا ترى؟

إن العبث أو اللامعقول في الحقيقة عبارة عن فلسفة مبنية على أساس من الاعتقاد بأن الإنسان موجود في عالم لا عقلاني خال من المعنى. وكلمة اللامعقول تعني النشار أو اللامعنى من أصل لاتيني [1].

ولقد ظهرت فكرة اللامعقول عند "جون بول سارتر" في كتبه "الغثيان"، "الوجود والعدم"، ونيتشه Friedrich Nietzsche (1844-1900) في كتابه هذا تكلم زرادشت وفرويد في اكتشافه للتحليل النفسي، وغيرهم من الفلاسفة. الذين كشفوا اللامعقول في الوجود.

فاللامعقول إذن هي اللاجدوى التي تحيط بالإنسان ولا معقولية العالم الذي يعيش فيه بعمق شعوره، بعبثية الفعل والوجود، وهو ما يساهم في انفصال الفرد عن حياته هذا الانفصال ليس اتصالا مرضيًا قائمًا على العزلة عن المجتمع، بل هو انفصال ضمني مبطن ناتج عن شعور الإنسان بالعبث، فالعبث أو المحال هو البحث عن المعنى في الوجود الذي يخلو من المعنى [2]، فاللامعقول هو اللامبالاة واللاوعي، فالإنسان لا يملك الحرية ولا القدرة على مواجهة الوجود العبثي، هذا الوجود الذي طغي عليه الروتين والآلية من جهة، ومن جهة أخري المعاناة والمأساة والتي جعلته ينفر منه بكل الوسائل حتى يتمكن من التحرر والاستقلالية والعيش في الأمن والاستقرار.

1- يوسف السيد أحمد، **مسرح العبث**، متاح على : http//artist,ibda.org/t1789.topic

2- علاء الدين العالم، **تيار العبث بين الفلسفة والمسرح في مجلة**، ص 05.

المبحث الثالث: مظاهر اللامعقول وتجلياته:

1- مسرح العبث ورواده:

كان المعنى الأول الذي حرص عليه رواد مسرح العبث تأكيده هو أنّه من العبث أن يبحث الناس في مسرحهم عن أي معنى، ولكن السبب الذي أعلنوه لذلك ليس كافيا لدفع النقاد إلى التنقيب عن معنى العبث ذاته وعن الجوانب المتعددة لذلك المعنى، كان السبب هو أن الكون نفسه قد فقد معناه، والتاريخ يكشف عن مهزلة سخيفة والإنسان حولته المؤسسات القديمة والآلات والأشياء إلى حيوان متبلد أو آلة أو إلى مجرد شيء مدفون وسط أشياء كثيرة. [1] فرواد مسرح العبث أرادوا من خلال كتاباتهم المسرحية تسليط الأضواء على معاناة الإنسانية في هذا الوجود ومن بينهم:

أ- **صموائيل باركلي بيكيت Samuel Barclay Beckett (1906-1989)**: وهو كاتب مسرحي وروائي وناقد وشاعر أيرلندي من مسرحياته **(انتظار جودوا 1952)** و**(لعبة النهاية 1957)** و**(الشريط الأخير 1958)**. وتعد مسرحيته الأولى النموذج الأول لهذا الضرب من المسرح، وقد أحدثت ضجة هائلة في الأوساط المسرحية الأوروبية حيث عرضت لأول مرة في باريس عام 1953، فيها تبلورت الملامح الفنية والفكرية لهذا النوع المسرحي الجديد بصورة حادة وواضحة، وكشفت عن أصولها في الفلسفة الوجودية والفكر السريالي، وعن رؤية عبثية قائمة للوجود الإنساني تخلو من الجلال المأساوي، تتخذ من السخرية المريرة والفكاهة السوداء أسلوبًا لها [2]. وقد حاول من خلال أعماله المسرحية إبراز حالة الإنسان المعاصر ومعاناته.

ب- **يوحنين يونسكو Eugène Ionesco (1912-1994)**: فهو كاتب مسرحي فرنسي يرى العالم موضوعًا مثيرًا للسخرية والألم في آن واحد، وقد أوضح هذا التناقض في أقدم مسرحياته من خلال كثرة الألفاظ اللامنطقية التي يزودها على ألسنة شخصيات سطحية

1- سامي خشبة، **قضايا المسرح المعاصر**، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1977)، ص2.

2- نهاد صليحة، **التيارات المسرحية المعاصرة**، (مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ص 125.

نموذجية. وتتسم مسرحياته بعزلة الإنسان وانهيار أسس التفكير البشري ومن بينها **(المغنية الصلعاء 1948)**، **(الدرس 1965)**، و**(قاتل بلا أجر1959)**. التي من خلالها يحاول يونسكو التعبير عن فقدان المعنى في الحياة. [1]

ج- جان جينيه jean genet(1910-1972): فهو شاعر وكاتب مسرحي فرنسي من مسرحياته **(السود 1959)** **(الشرفة 1965)** **(الخادمتان 1974)**، وحاول من خلالها كشف عناصر الزيف والتصنع الموجود في المجتمع، امتازت مسرحياته بخلوها من أي جانب مريح، لأنه لم يعمل مع ملاطفة المجتمع، بل على الهجوم عليه، فكان فعالاً في نظرته السلبية للناس بحيث يمكن القول إن مسرحياته تنجح فقط حيث تكون مكروهة بذاتها. [2] وعليه يمكن القول أن مسرح العبث كان له دور فعال في الكشف عن اللامعقول في الوجود، فالمسرح إذن فن شديد الالتصاق بحياة الناس الحقيقية ووعيهم الفعلي، ولا يستطيع أن يستمر إذا ظل يؤكد أنه ليس لحياة الناس ووعيهم مغزى وليس للغة التي يتفاهمون بها وظيفة، وليس سعيهم إلى تغيير حياتهم قيمة ولاجدوى، ومن البديهي أن يهجر الناس مسرحًا من هذا النوع، وأن يتفرغوا للحياة، ليبحثوا عن فن آخر يشترك معهم في صنعها ونقدها وتغييرها. [3] معنى ذلك الإنسان لم يستطع الوصول إلى فهم سبب عبثية هذا الوجود، لأن مسرح العبث هو نفسه زاد من عبثيته وهذه الحياة التي أراد الإنسان أن يعطي لها قيمة ومعنى.

2- الدادئية والسريالية Dadaïsme et Surréalisme :

لمعرفة المدرسة السريالية لابد من معرفة الحركة الدادئية، فالدادئية حركة ضد الفن وضد الحضارة، ظهرت في مدينة زيورخ سنة 1916، بالضبط في 8 فبراير، على الساعة السادسة مساءًا، ويدعي كل من (ريشارد دهولنسبك) "Richard hulesenbeck" و"هوغوبال"

1- ج، ل سيتان، **الدراما الحديثة بين النظرية والتطبيقية**، ترجمة محمد جمول، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1995)، ص 359.
2- سيتان، المرجع نفسه، ص 368.
3- سامي خشبة، نفس المرجع، ص34.

"Hugo Ball" أنهما قد اكتشفا كلمة دادا (Dada) [1]. فقد اجتمع مجموعة من الفنانين خلال الحرب العالمية الأولى مثل ترستان تزار (1963-1986) واندريه بريتون (1966-1982) الذين قرروا رفض كل ما جاءت به الحضارات السابقة، وقد استمرت الدادئية ابتداء من 1915 إلى 1920 إلى بداية ظهور السريالية ويرجع الفضل إلى ظهورها إلى الشاعر الفرنسي "أندريه بريتون" الذي أطلق كلمة السريالية عام 1924. وقد امتدت السريالية على جوانب عديدة كالمسرح والشعر والتصميم والتصنيع. [2] والسريالية ترتكز على الإيمان بأن الأحلام أقوى من أي شيء آخر وبأن بعض أنماط التداعي الذهني التي لم يعرف لها أحد اهتمامًا من قبل قادرة على أن تكشف لنا حقائق أبعد عمقًا من تلك الحقائق التي نصل إليها عن طريق العقل والمنطق. لهذا تدعو السريالية إلى إطلاق العنان للفكر والذهن معا، وعدم تقيده بقواعد وغايات معينة، وترى أن ذلك كفيل بتخليص الذهن من جميع الأنماط الآلية المفروضة عليه وإعادة الحركة الذاتية الحرة إلى النفس. [3]

وإذا كانت الدادئية قد سعت بشكل رئيسي إلى إلغاء الفن بإخضاعه للفوضى، فإن السريالية عملت على تشذيب تطبيق المبادئ الدادئية بالكشف عن جميع أسرار العقل اللاعقلاني من خلال الفنون. وذلك بوضع حد للسيطرة العقلانية على إدراكاتنا لتصبح موضع تساؤل بأي شكل من الأشكال التي يمكن التوصل إليها. ومن أجل ذلك فإن على الفنان السريالي أن يعتمد على عناصر المفاجأة واللاشعور واللاإرادي. [4]

ويرى أصحاب المذهب السريالي أن فوق هذا الواقع هناك واقع أقوى فاعلية، وأعظم اتساعا، وهو واقع اللاوعي أو اللاشعور، وهو واقع مكبوت داخل النفس البشرية، ويجب تحريره وإطلاق مكبوتة وتسجيله في الأدب والفن، وهي تسعى إلى إدخال علاقات جديد ومضامين غير مشتقاة من الواقع التقليدي في الأعمال الأدبية، هذه المضامين تستمد من

1- مارك جيمينيز، **الجمالية المعاصرة**، تر: كمال بومنير، (بيروت: منشورات ضفاف، ط1، 2012)، ص1.42

2- أحمد عبد الله العبد النبي، **التكعبية والسريالية**، في مجلة الواحة، العدد 39، 2007، ص 20.

3- نهاد صليحة، **التيارات المسرحية المعاصرة**، ص62.

4- ج، ل سيتان، **الدراما الحديثة بين النظرية والتطبيقية**، ص267.

الأحلام، سواء في اليقظة أو في المنام، ومن تداعي الخواطر الذي لا يخضع لمنطلق السبب والنتيجة، وتتجسد هذه الأحلام والخواطر والهواجس المجردة في أعمال أدبية، وهكذا تعتبر السريالية اتجاها يهدف إلى إبراز التناقض في حياتنا عن طريق الاهتمام بالكتابة التلقائية الصادرة عن اللاوعي والبعيدة عن رقابة العقل، وإهمال المعتقدات والأديان والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع. [1] ومنه نقول إن السريالية تدعو إلى الهروب من الوجود والتحرر منه عن طريق خلق عالم آخر يطغى عليه اللاوعي واللامبالاة بالوجود العبثي.

3- الفلسفة النيتشوية: Friedrich Nietzsche (1844-1900):

ساهم فريديريك نيتشه Friedrich Nietzsche (1844-1900) في بلورة فكرة اللامعقول من خلال كتاباته الفلسفية المتنوعة خاصة في كتابه "**هكذا تكلم زرادشت وكتابه**" **إنسان مفرط في إنسانيته** " حيث نادى بضرورة العودة إلى النظر في القيم والأخلاق السائدة في المجتمع، والتي جعلت حياة الإنسان فيه شبه مستحلية بسبب اللامبالاة والفوضى حيث يقول: "منذ ألاف السنين ونحن ننظر إلى العالم بتباه أخلاقي وجمالي وديني، وبعمى الميل الشغف أو الخشية، تعاطينا فيه، بواسطة فجور حقيقي، لسلوكيات الفكر اللامنطقي السيئة ولذلك صار هذا العالم شيئا فشيئا مبرقشا مرعبا حافلا بالحيوية والدلالات العميقة، هذا ما أضفى عليه صبغته –لكننا نحن هم من صبغه: إن الفكر الإنساني هو الذي أظهر الظاهرة وأدخل في الأشياء مفاهيمها الخاطئة، إنه حين يقدر له أن يفكر يجد الأوان قد فات كثيرا وها هو عالم التجربة والواقع المطلق يبدوان له مختلفين جدا ومنفصلين حتى أنه يرفض استتباع هذا لذاك "[2]

معنى ذلك أن العالم الذي نعيش فيه قد طغى عليه العبث والفوضى حتى أصبحت الحياة فيه في نظر نيتشه Friedrich Nietzsche (1844-1900)، شبه مستحلية حيث يضيف" إن العلم الدقيق لا يستطيع أن يخلصنا من عالم التمثل هذا إلا في نطاق محدود–وليس ذلك

1- إعداد الندوة العالمية لشباب الإسلامي، **السريالية**، متاح على: صيد الفوائد http//www.saaid.net/freaq/mathahk/113.htm

2- فريدريك نيتشه، **إنسان مفرط في إنسانيته**، ترجمة محمد الناجي، (بيروت: إفريقيا الشرق،2002)، ص ص (26-25).

بالشيء المرغوب–نظرا لكونه عاجزا عن تحقيق المطلوب، أي تحطيم العادات القديمة عادات الحساسية لكنه يستطيع تدريجيا وبشكل متزايد، أن ينير تاريخ نشأة هذا العالم كتمثل–وأن يرفعنا ولو لبعض اللحظات فوق تسلسل أحداثه كلها وربما أن الواقع المطلق يستحق ضحكة ساخرة ،وهو الذي كان يبدو أنه يشكل الكثير ،بل كل شيء ،هو في الحقيقة فارغ خال من المعني[1]." فالوجود الذي يعيش فيه الإنسان تغلب عليه الأوهام بسبب القيم والعادات التي لا تخدم الإنسانية هذه الأوهام التي تحفل بها حياته وكل المذاهب الأخلاقية التي لم تستطيع أن تقدم الأدوية للإنسانية لعلاجها، هذه القيم التي خلقها الخور، وأملاها الضعيف وشرعها العبيد لكي يسيطروا بها على الأقوياء والسادة الممتازين هذه هي الأساطير التي لجا إليها الإنسان خوفا من عواصف الحقيقة التي لا يستطيع مواجهتها والنضال وإياها.[2] ويضيف ينتشه قائلاً: صدقوني أيها الإخوة، إن الجسد قد تملكه اليأس من الأرض فيسمع صوتا يناديه من قلب الوجود، فأراد أن يخترق برأسه أطراف الحواجز، بل حاول العبور منها إلى العالم الثاني غير أن العالم الثاني جد خفي عن الناس لأن تخنثه وابتعاده عن كل صفة إنسانية وأن قلب الوجود لا يخاطب الناس إذا لم يكلمهم كانسان، والحق انه ليصعب علينا إثبات الوجود واستنطاقه."[3] ومنه نلاحظ أن نيتشه Friedrich Nietzsche (1844–1900) يحاول هو الآخر أن يبين إن الحياة التي يعيشها الإنسان هي حياة العبث وتعمها الفوضى بسبب اللامبالاة وعدم مراجعة القيم الروحية والأخلاقية وهذا ما نستخلصه من أعماله الفلسفية التي حاول من خلالها إعطاء معنى للحياة عن طريق تهديم القيم القديمة وإعادة بنائها حسب الحضارة والظروف التي تعيشها الإنسانية.

1– فريدريك نيتشه، **إنسان مفرط في إنسانيته**، ص 26.

2– عبد الرحمن بدوي، **نيتشه**، (كويت: وكالة المطبوعات شارع فهد السالم،1975)، ط5، ص14.

3– فريدريك نيتشه، **هكذا تكلم زرادشت**، ترجمة فليكر فارس، (الإسكندرية: جريدة البصير،1938)، ص ص(24–23).

4-الفلسفة الوجودية:

قد نلتمس مظاهر فلسفة اللامعقول أيضا في الفلسفة الوجودية خاصة مع "جون بول سارتر" "Jean Paul Sartre" "وألبير كامو" "Albert Camus". فالوجودية هي التي ترى الإنسان مخلوقا وحيدا يعاني القلق واليأس في عالم لا معنى له، وأنه كان موجودًا مجرد وجود إلى أن قام بتحديد خيار حاسم ومصيري يتعلق بمسار حياته المستقبلية، من خلال هذا الخيار يكتسب المرء هويته، أي هدفه وكرامته كانسان، وهذا الإنسان الوجودي يفضل اعتناق قضية سياسية واجتماعية لكي يحقق الهدف ويضمن الكرامة، وبترجمة هذه الأفكار إلى صيغة مسرحية. "[1]

فالفلسفة الوجودية أيضًا لها الدور في إبراز اللامبالاة واللامعقول الذي يعم حياة الإنسان والذي جعله ينفر من الحياة بكل الوسائل، وقد أبرزت أفكارها في مسرحيات من أجل توعية الإنسان بعبثية الوجود، كما نجد ذلك في مسرحية "كاليغولا "لكامو.

فأنت لا تكاد أن تفتح الغريب بجوار الغثيان، حتى يصدمك التباين بين الجسدانية المبهرة عند مورسو في حديث كامي، والشعور بالقرف الذي اشتهر به سارتر إزاء الجسد وقد وجد كامو متعة بالغة في العالم الحسي في شمال إفريقيا كما هو في العرس، حتى إن القارئ يكاد لا يسعه إغفال ما فيها من حدة وملذات، ولكن كتابات سارتر لم تشمل أبدا على العالم الجسداني أو الجسد بأسلوب مباشر يقني تغلب عليه البهجة بشكل طبيعي، كما هو الحال عند كامو."[2] معنى هذا أن كل من كامو وسارتر حاولا من خلال كتاباتهما الفلسفية أن يوضحا صور اللامعقول في حياة الإنسان ويتسابقان في ذلك. فقد كان كامو أحد المعبرين عن المقاومة السرية الفرنسية حين نشر مقالة فلسفية عام 1948 المسماة "أسطورة سيزيف" وهي الشخصية التي تمثل في نظره النموذج الحقيقي لبطل عبثي حكمت عليه الآلهة وإلى الأبد بدفع الحجر إلى الأعلى.... فهذا هو الجهد العقيم والوجود السخيف. ومنه أصبحت

1- ج.ل ستيان، **الدراما الحديثة بين النظرية والتطبيق**، ص338

2- رونالد ارونسون، كامي وسارتر، ترجمة شوقي جلال، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب،2006)، ص28.

كتاباته بمثابة بيان الدراما الوجودية الجديدة التي صارت تعرف فيما بعد بمسرح العبث، ففي هذا المقال يؤكد على ضرورة وشرعية التساؤل حول وجود أي معنى للحياة، وحول إحساس الإنسان بغربته في هذا العالم الغريب، قد أكد أن هذا التعارض بين الإنسان والحياة هو ذاته الإحساس بالعبثية"[1]، ولقد حاول الفيلسوفان من خلال فلسفتهما النظر إلى الحياة أنها شبه مستحيلة في عالم فقد معناه وقيمته عندما طغى اللامعقول على الوجود، فراحا يدعوان من خلال فلسفتهما هذه إلى ضرورة التمرد واليقين بعبثية الحياة ومحاولة تجاوزها.

5- مدرسة التحليل النفسي:

يتجلى أيضا اللامعقول في نظرية اللاشعور التي اكتشفها الطبيب النفساني "سجموند فرويد "Sigmund Freud" 1856-1939، الذي أقر بأن حياة الإنسان النفسية معظمها لا شعورية حيث قال:« اعتبر التحليل النفسي أن كل شيء نفسي هو في المقام الأول لا شعوري، أما الخاصية الشعورية فقد تظهر وقد لا تظهر»[2]، معنى هذا أن الإنسان لا يعي تصرفاته وسلوكاته التي تصدر منه كزلات اللسان حيث يضيف" إن خبرتنا أظهرت لنا ثمة دوافع عدة قوية لا سبيل إلى إدراكها إدراكا مباشرًا، وإنما يستنتج وجودها شأن أي حقيقة في العالم الخارجي: هذه الخبرة لا تدع مجالا لرأي مخالف، ويمكنني الإشادة بهذه المناسبة إلى أن الأمر لا يعد، وأن يتفهم المرء حياته النفسية على نحو ما يتفهم حياة غيره النفسية، فما كان المرء ليتردد في أن يغزو إلى غيره من الناس عمليات نفسية على الرغم من عدم شعوره بها شعورا مباشرا وأنه لا يستطيع إلا أن يستدل علي وجودها من كلماته وأفعاله، وما يصدق علي الآخرين ينبغي أن يصدق أيضا علي الذات. [3]

فالإنسان في هذا الوجود معظم أفعاله يطغى عليها اللامعقول والعبث كالأحلام والنسيان، أي انه خلال قيامه بأعماله يكون مدفوعا إليها دون إرادته وحريته لان اللاشعور قد طغي على حياته، وهذا ما حاول فرويد تبريره بوجود مجموعة من العقد كأجزاء

1- ج .ل ستيان، **الدراما الحديثة بين النظرية والتطبيق**، ص 339.

2- سيجموند فريد، **حياتي والتحليل النفسي**، ترجمة مصطفي زيور وعبد المنعم المليجي، (دون مكان، دار المعارف، ط4)، ص51.

3- سيجموند فريد، **حياتي والتحليل النفسي**، ص ص (52-51).

قائمة في اللاشعور مشحونة بشحنة انفعالية قوية، ولتأثير هذه العقدة في سلوك الشخص وأفعاله دون معرفة منه بها. فالعقدة هي اتجاه لا شعوري لا يفطن المرء إلى وجوده ولا يعرف أصله ومنشأه، وكل ما يشعر به هو أثار العقد ة في شعوره وسلوكه، [1] فاللامعقول يظهر في الحياة اللاشعورية للإنسان حسب "فرويد"، أي الحالة النفسية التي يعيشها من حرمان ومعاناة أو قهر من طرف الأسرة أو المجتمع وهذا ما يسبب له العقد النفسية والمكبوتات أو اللبيد، وهذا ما يجعله يعيش في حالة قلق وخوف من مصيره في هذا الوجود الذي أصبح بالنسبة إليه غريب، لأنه لم يستطيع التكيف معه وان يمارس حريته بإرادته ووعيه.

1- عامر صالح، **الفرويدية أو مدرسة التحليل النفسي**، متاح على: www.ahewar.org

الفصل الثاني:

اللامعقول ومبررات الخروج منه

الفصل الثاني: اللامعقول ومبررات الخروج منه

المبحث الأول: الإنسان في الوجود العبثي

1- حقيقة الوجود والوجودية:

قبل التطرق إلى التعرف على الوجود العبثي عند الإنسان ومعرفة مظاهره وكيفية الشعور باللامعقول، لابد من معرفة أولا ماذا يعني الوجود والوجودية.

الوجود هو تحقق الشيء في الذهن أو في الخارج ومنه الوجود المادي، أو في التجربة والوجود العقلي أو المنطق. والوجودية مذهب يقوم على إبراز الوجود وخصائصه وجعله سابقا على الماهية فهو ينظر إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية، ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يمنع نفسه بنفسه ويملأ وجوده على النحو الذي يلائمه [1]. والوجود هو القيمة الأولى لدى الإنسان والوجودية لا تتصدي لمشكلة نظرية بحتة، وإنما لقضايا فعلية أنتجتها الحياة المعاصرة وفي أكثر أشكالها تقدما [2].

فالوجود يساعد الإنسان على معرفة ذاته وأحواله النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والتعايش والتكيف معه وممارسة حريته بكل إرادة وأمل، فهو عالمه الذي يسكن فيه والوجودية ما هي إلا فلسفة تبحث في وجود الإنسان ومعاناته وسعادته.

الفلسفة الوجودية تهتم بالوجود، في خصوصيته–وهذا ما يفهم من تسميتها–لكن الاهتمام بمسالة الوجود لا يقترن بالفلسفة الوجودية فقط، لان الفلسفة كانت دائما تساؤلا عن الوجود حيث ظهرت منذ بداية الفكر اليوناني فلسفات اهتمت بالعالم الطبيعي من حيث سكونه وأزليته وفي مقابل ذلك تغيره أو حركته وصيرورته [3].

الوجودية مذهب إنساني يثير الدهشة، فإنني سأحاول شرح فهمي لهذا المعنى وأستطيع أن أقول، بداءة إنني افهم الفلسفة الوجودية كمذهب يجعل الحياة الإنسانية ممكنة مذهب يؤكد كذلك أن كل حقيقة، وكل عمل يستلزم بيئة معينة وذاتا إنسانية [4].

الوجودية ليست فلسفة تأمل وسكون، لأنها تحدد الإنسان طبقا لما يفعل، وهي ليست فلسفة متشائمة، لأنها تضع مصير الإنسان بين يديه، ومن ثم فهي أكثر الفلسفات تفاؤلا وهي

1- محمد مدكور، **المعجم الفلسفي**، ص211.

2- محمد شفيق شيا، **في الأدب الفلسفي**، (بيروت: ط1، 1980)، ص228.

3- محمد ثابت الفندي، **مع الفيلسوف**، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1974)، ص ص 96-97.

4- جون بول سارتر، **الوجودية مذهب إنساني**، ترجمة عبد المنعم الحفني، (بيروت: مطبعة الدار المصرية، ط1، 1964)، ص7.

تدفع الإنسان للعمل، ولا تثنيه عنه، بل إنها لا تري له أملا إلا في العمل فالعمل هو السبب استمرار الإنسان في الحياة، وإذن الوجودية فلسفة أخلاق عمل، والتزام [1]. باختصار الإنسان لا يستطيع العيش خارج الوجود أو العالم، وأن يمارس أعماله ويعمل على تحقيق طموحاته وأحلامه دون الاحتكاك به، أما الوجودية تحاول دراسة الإنسان في هذا الوجود والكشف عن معاناته ومأساته ومدي نجاحه وفشله في ممارسة حريته بإرادته.

2- الإنسان في الوجود العبثي:

ارتبط اسم "كامو" بمصطلحات العبث واللامبالاة والتمرد والثورة والتحدي، وكلها تحيل إلى الفلسفة الوجودية التي تصور لنا حياة الإنسان ومعاناته في الحياة والوجود بصفة عامة وصراعه مع الماضي والحاضر والمستقبل.

ولقد حاول "كامو" بفلسفته أن يجيب عن عدة أسئلة شغلت فكره منها ما ذكره في أسطورة سيزيف في قوله :« فما هو إذن ذلك الشعور الذي لا يوصف، والذي يحرم الذهن من النوم الضروري للعيش؟» [2].

- هل تضر إهانة الوجود تلك-ذلك الإنكار التام الذي تغرق فيه الحياة-من أنها بلا معنى؟
- هل هنالك منطق عند مرحلة الموت؟ [3]

هذه الأسئلة وغيرها دفعت كامو إلى البحث عن حقيقة الوجود والحياة والهدف منهما، وكيف يستطيع الإنسان أن يتكيف مع هذا العالم ويفرض ذاته رغمًا عن اللامعقوليته التي تجعل الحياة التي نعيشها بلا معنى.

يقول كامو: «الإنسان الذي يكون مدركا للاجدوى يرتبط بها إلى الأبد»[4]، ومعنى ذلك أن الإنسان إذا شعر أن حياته هي داخل حيز اللامعقول وأدرك ذلك بعقله، فإنه لا يستطيع التخلص منه، لأن اللاجدوى قد ارتبطت به إلى الأبد، ومهما حاول التخلص والفرار من هذا الشعور العبثي، فإنه لا يستطيع لأنه عاجز عن بلوغ ذلك، ومنه فحياته في هذا العالم لا تخلو من اللامبالاة والاغتراب الذي فرضته ظروف مختلفة وقاهرة خارج إرادته، لكن الإنسان، وقد

1- جون بول سارتر، **الوجودية مذهب إنساني**، ص ص43-44.

2- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص 14.

3- ألبير كامو، المصدر نفسه، ص ص (18-17).

4- ألبير كامو، المصدر نفسه، ص 41.

شعر في لحظة نادرة من لحظات حياته أن كل ما في الوجود غير معقول ويحاول التخلص أو الفرار من العالم خصوصا وهو يدرك أن هذا العالم من خلقه هو: «أليس هو الذي فهمه بعقله، ونظم معانيه ورتب أجزاءه، باعتباره كما يقول المثاليون من أمثالنا نحن، أي من خلق عقولنا»[1]، ومنه فالعبث يتولد من خلال الصراع القائم بين الإنسان والعالم أي بين رغبته في العيش في طمأنينة وسعادة وحرية، وبين عدم استجابة العالم لهذا النداء. وهذا ما نستخلصه من حياة "كامو" نفسه أي من حياته التعيسة انطلاقا من وجوده الشخصي، حيث عانى الفقر والمرض، والوحدة والضياع في هذا العالم، وكان مصرعه أو موته خير دليل على ذلك.

لقد كان مصيره خير مصداق لمذهبه في الوجود! لقد قتل في حادث سيارة على الطريق الأهلي رقم 5 وهو عائد إلى باريس بعد عطلة رأس السنة في الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والخمسين في اليوم الرابع من شهر يناير سنة 1960، اصطدمت السيارة في انحرافها لتفادي عربة نقل، بشجرة دلب، فمات ثاني أصغر حاصل على جائزة نوبل للآداب، مات لفوره دون "تمرد" ولا "مقاومة". مات ميته "لا معقولة absurde" ذلك الذي رأى أن كل ما في الوجود "لا معقول" وإن لم ينقطع رجاؤه في الإنسان [2]، وعليه فلو كان الشعور بالعبث شعورًا يمكن التخلص والفرار منه لتخلص منه "كامو" وأنقذ حياته من الموت وبالتالي لما استسلم لهذا العالم العبثي الذي لم يستجب لندائه في مواصلة الحياة والعيش في سلام وأمن وعليه فإن الشعور بالمحال شعور مفاجئ، غير منتظر، وقد يستولي علينا ونحن نباشر أكثر أعمالنا اليومية سحقًا. إنّه تجربة شخصية وحيدة، لا سبيل إلى توصيلها للآخرين [3].

معنى ذلك أن الشعور بالعبث أو بالمحال شعور ليس له وقت محدد، فهو قد يصطدم بك في كل لحظة من حياتك، إنه شعور آلي نستخلصه من خلال الأعمال اليومية التي نقوم بها مرارًا وتكرّارا، أي من الروتين الذي نعيشه كل يوم، فهو ينشأ من الإحساس في عالم مغترب يشعر به الناس بدرجات متفاوتة، وقد ينتج هذا الشعور بالانعزال عن الإحساس بأننا إنّما وجدنا بمحض الصدفة وبلا سبب معقول [4].

1- عبد الرحمان بدوي، **دراسات في الفلسفة الوجودية**، ص 211.

2- عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص 200.

3- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة)، ص 35.

4- جون كروكشانك، **ألبير كامي وأدب التمرد**، ترجمة جلال العشري، (مصر: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986)، ص 95.

ومنه فإن الإنسان لا يبالي به، لأنه أصبح جزءًا من حياته هذا ما أكده كامو في روايته "**الغريب**" في صفحاتها الأولى: عندما قال: (ماتت أمي اليوم، وربما أمس، لا أدري، لقد تلقيت برقية من الملجأ الذي تقيم فيه: ((أمكم توفيت، الدفن غدًا إذا، أخلص تعازينا) ولم أستطع أن أفهم من ذلك شيئا، ربما تكون قد توفيت أمس!))[1]

من خلال هذه السطور نستنتج أن "ميرسول" "Mersol" بطل هذه الرواية في نظر "كامو" استقبل نبأ وفاة أمه بكل برودة أعصاب واللامبالاة، كأنه لا يعرفها ولا تعني له شيئًا في حياته فهي غريبة عنه، يتحدث عنها كما يتحدث عن أي شخص آخر، ولم يهتز لوفاتها ولم يتأثر بهذا النبأ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عبثية الوجود وهذه العبثية تأتي بالتجربة والممارسة، فهي ليست وليدة الصدفة أو العدم، إنّما هي وليدة التجربة التي يعيشها الإنسان بكل أحوالها، سواء كان ذلك حزنا أو فرحا أو نجاحا أو فشلا أو انتصارا أو هزيمة فكل هذا لا يعطي للحياة معنى لتظل بلا معنى وبلا جدوى مالم يدركها الإنسان ويعيها بالوعي والإرادة.

فالعبث تجربة ومبدأ معًا، وبنظرة تقريبية أولى مفرطة في عموميتها، يمكن القول إنه مبدأ وليد التجربة، تجربة تجرفها المشاعر انجرافًا شديدًا حتى أن الحياة بأفراحها وأحزانها وبما فيها من مشاعر الحب والكراهية، وما فيها من مآثر الكرم والشهامة والأعمال الحسنة والدنيئة وبانتصاراتها الرائعة وهزيمتها الساحقة–وبتعبير آخر الحياة في ذاتها–في النهاية لا تضيف شيئًا على الإطلاق. [2] فالوجود العبثي يطغى عليه الطابع الآلي أو الروتين، لأن العبث يتقاسم معنا الحياة ولا يفارقنا ولو لحظة من لحظاتها.

إن هذا الروتين الذي يعيشه الإنسان دائما هو اللامعقول نفسه وإذا تساءل عن سبب عبثية حياته تكون الدهشة والحيرة جوابه، فهو لا يدرك ولا يعي سبب هذا العبث، وهذا الأخير لا يظهر فقط في الأعمال التي يقوم بها في حياته اليومية إنّما كذلك في نفسية الإنسان المتوترة. من خلال إحساسه بالضيق وعدم الارتياح الذي تثيره فينا لا إنسانية الإنسان قد تسببه ملاحظة عادية نراها كل يوم ولكننا لا نلتفت إليها إلا على حين فجأة .[3]

1- Albert Camus, **l'étranger**, Edition Gallimard, (paris: 1950), p 01.

2- ديفيد شيرمان، **ألبير كامو**، ص ص 33-34.

3- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، المرجع السابق، ص 36.

إن الإنسان الذي يشعر بالمحال أو اللاجدوى من الحياة هو الإنسان الذي ينفر من أتفه أو أبسط الأمور التي يراها أو يعيشها والتي قد تسبب له الملل والقلق، هذا الأخير هو الذي يحطم نفسية الإنسان ويجعله ينفر من الوجود المعقول إلى الوجود اللامعقول لأنّه لا يستطيع مواجهة الحقيقة وتقبلها. وهذا ما نلاحظه في رواية الغريب عند بطلها، هذا الأخير الذي حاول أن يتجاهل وفاة أمه بالذهاب في نزهة على شاطئ البحر مع صديقته، وهذا ما يظهر في قوله: «وقد نهضت بصعوبة لأني كنت حتى ذلك الوقت متعبا من رحلة الأمس، وحينما كنت أحلق ذقني فكرت فيما سوف أفعله بعد ذلك وقررت أن آخذ حمامًا، فركبت القطار وذهبت إلى مبنى حمام الميناء، وهناك ألقيت بنفسي في مياه البحر، ورأيت هناك "ماري كاردونا" وهي فتاة تعمل في المكتب سابقا حيث كانت تكتب على آلة الكتابة، وكنت متحمسا للتعرف عليها أكثر ولكنها غادرت المكتب، وفكرت في أن أصعد إلى ظهر الشمندرة التي كانت تطفو على الماء وبينما أنا أحاول أن أفعل ذلك إذ لمست "ماري" يدي... وكنت لا أزال في الماء حينما رأيتها قد صعدت فوق الشمندرة واستلقيت عليها»[1].

معنى هذا أن "ميرسول" "Mersol" يحاول تجاهل موت أمه وذلك عن طريق الاستمتاع بوقته مع صديقته "ماري"، ولا يبالي بشيء سوى تحقيق المتعة والراحة خاصة بعد الانتهاء من مراسيم دفنها، وهو في هذه الحالة يحاول الهروب من تأنيب الضمير الذي يواجهه بعد وفاتها. هذا ما تؤكده حالته النفسية المتعبة والتي يغمرها القلق والنفور من عبثية هذا الوجود الذي أجبره على ضرورة تحمل مراسيم دفن أمه، وهو ما يظهر في قوله: «وشعرت برغبة في أخذ سيجارة، ولكنني ترددت لأني لم أكن أدري إذا كنت أستطيع أن أفعل ذلك أمام أمي وفكرت قليلا ووجدت أنه ليس في الأمر ما يهم، وقدمت سيجارة للخادم وأخذنا ندخن معًا»[2].

معنى ذلك أنه لا يبالي بما يقوله الحاضرون عن أخذه سيجارة أمام نعش أمه، بذلك لم يعطي القيمة والاحترام اللازمين لهذه الجثة، وهذا ما يدل على غياب الروح الأخلاقية عنده وهذا بسبب الظروف المحيطة به، والتي جعلته ينظر إلى هذا الوجود بنظرة سلبية بنظرة وعبثية. فهذا الكائن الهش، الكائن المسحوق، والمسلم بضرورة الاستمرار في أسوأ الظروف الكائن الذي تتساوى لديه موازين الكينونة، الكائن الذي قطع أشواطا من الفجائية القدرية

1- Albert Camus, **l'étranger**، p20.

2- Albert Camus, **ibid**, p13.

والمجتمعية، التي شعر أمامها باستحالة تصدى الكائنات الواهنة للأشياء الكبرى فتحول إلى كائن متفق مع الأشياء سلفا ومتصالح مع الطرف الأول، لأنه لا يفرق بين الأول والثاني فكلاهما لا شيء. فلا يعود يتذوق طعمه الحقيقي، فهو يسير في حالة من فقدان الدهشة متأرجحًا بعدمية تامة بين ضرورة الاستمرار، وعدم الرغبة في المسير، لذا فالعبثية واللاجدوى هي الأكثر حضورًا في مشهده اليومي، والأكثر ظهورا في مساحاته سواء تلك الخاصة أو المأهولة بالبشر. [1]

إن موت أمه لم يزعزع وجدانه، لأنه يرى أن هذا الموقف موقف عادي، لا يستدعي كل تلك الحيرة والحزن والألم، فالموت والحياة موجودان في كل لحظة، والميت في نظره سوف يشعر بالراحة والطمأنينة لأنه قد تخلص من عبثية حياته الأولى وسوف ينعم بحياة جديدة ولهذا فالموت أفضل وأجمل للموتى. وهذا ما يؤكده في قوله: «كنت متعبا، وقادني البواب إلى غرفته لكي أغتسل وأتناول وجبة الصباح المتمثلة في القهوة ممزوجة باللبن وكانت لذيذة جدًّا ولما خرجت كان الصباح قد غمر الكون، التلال التي تفصل مارنجو عن البحر، والسماء بألوان حمراء، والرياح التي تهب عبر التلال برائحة الملح، وكان هذا يبدو بأنه بشائر يوم لطيف. لقد مضى زمن طويل لم أتجول خلاله في الريف، وشعرت بأن سروري سيكون عظيمًا إذا أنا خرجت لأتنزه، غير أن وجود أمي منعني من ذلك» [2].

يفهم من هذا أن "ميرسول" "Mersol" لم يحزن لفقدان أمه ولم يتألم لهذا الموقف، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن حياة الإنسان خالية من المعنى والهدف، وهو ما يشكل مظهرًا من مظاهر الوجود العبثي، فالمرء يعيش حياته ولا يفكر في شيء آخر، لأنه يعلم أنّها بلا معنى ولا هدف، فهو قد يعيش اليوم ويموت غدًا. ولهذا نجد بطل هذه الرواية لا يبالي بشيء فيعيش حياته العادية بكل برودة أعصاب، ولا يتأثر بالمواقف المؤلمة أو المفرحة ويراها مواقف عادية لا تستحق كل هذه العناية والاهتمام، وهذا ما يظهر في موقفه أثناء إعداد مراسيم دفن أمه في قوله: «وفي هذه اللحظة دخل أصدقاء أمي وكان عددهم نحو عشرة وتسللوا في سكون وصمت في هذا الضوء الذي يبهر الأبصار، وجلسوا من غير أن يصدر من أي مقعد صوت، وأخذت أتأملهم باهتمام زائد وأدقق النظر في كل تفاصيل ملابسهم وملامحهم، وهم لا

1- فاطمة الشدي، **عن كارثة الوعي الإنساني وعذابات الكائن الهش** (رواية الغريب)، www.ahewar.org

2- Albert Camus, **l'étranger**, p15.

يتحدثون حتى خيل إلى أنني في حلم، ولست في عالم الحقيقة»[1]، لم يكن "ميرسول" يفكر في موت أمه وشوقه إليها بعد دفنها، فإنما كان ينظر إلى حالة أصدقائها ويتمعن في كل شيء وبكل التفاصيل، وهو هنا يشعر بالغربة والوحدة والضياع وهذا مظهر من مظاهر العبث والذي يتمثل في هذا الصراع القائم بين الإنسان والعالم، فهو يحاول أن يفهم العالم وأسراره لكي يحقق التكيف والاستمرار والتأقلم معه، لكن العالم لا يجيب لانشغالاته، وبالتالي يكون المحال أو اللامعقول في المواجهة التي تحدث بين الإنسان والعالم، أو التقابل الذي يتم بين الوعي واللامعقول، فالوجود لا معنى له وبالتالي لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة لها معنى، وقيمة داخل عالم سلبت منه قيمته وهو ما كشفه التاريخ فالإنسان خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، قاسى الكثير لأنه كان يعيش حياة مليئة بالمعاناة والألم، فهو يعيش ولا يدرك لماذا يعيش وهل لحياته معنى مادام العالم يعيش الدمار والخراب الكبير؟ وهل بإمكانه أن ينشئ فلسفة إنسانية تدعو إلى الوحدة والتضامن في ظل غياب القيم والمبادئ الإنسانية في هذا العالم الذي يعيش فيه؟.

يقول كامو:«إنها مسألة العيش في حالة اللاجدوى تلك، إنني أعرف على ماذا تؤسس هذا الذهن وهذا العالم يتوتران ضد أحدهما الآخر دون أن يكون في وسعهما أن يتقبل أحدهما الآخر. إنني أسأل عن قاعدة حياة تلك الحالة، ولا أجد غير ما يهمل أساسها وينفي أحد طرفي المعارضة المؤلمة، ويتطلب مني استسلاما. إنني أسأل عما تتضمنه الوضعية التي هي وضعيتي كما أرى، وأعرف أنّها تتضمن الغموض والجهل، ويقال لي إن هذا الجهل يفسر كل شيء وإن هذا الظلام هو نوري، ولكن ليس هنالك جواب لما قصدته وهذه الأغنية المثيرة لا تستطيع أن تخفي التعارض عني، يجب أن يدير المرء وجهه إذن» [2].

فالإنسان يرى العالم لا معقولاً وأن الحياة التي يحياها، لا مذاق ولا هدف ولكن في الحقيقة هو الذي كان السبب في لا معقوليتهما بعد تدخله غير المعقول وغير المنطقي في تخريبهما وتجريدهما من المعنى بعد استخداما لاكتشافاته بطريقة سلبية، فالأسلحة الذرية كما

1- Albert Camus, **l'étranger**، p p (13.14).

2-ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص ص(49،50).

يقول فروم رمز مثير ومروع جدًّا عن ماهية الاغتراب، إنّها من نتاج الإنسان، هذه الأسلحة تعبير حقيقي عن أعظم إنجازات الإنسان الفكرية، مع ذلك فهي تحكمنا، وأصبح من المشكوك فيه ما إذا كنا سنحكمها ذات يوم فنحن البشر الراغبين في أن نعيش نصبح عاجزين، رغم أننا ظاهريا بشر مطلقو السلطة نعتقد أننا نسيطر ومع ذلك نحن مسيطر علينا، ليس من قبل الطاغية، بل من قبل الأشياء والظروف. لقد أصبحنا بشرًا بدون إرادة أو هدف.[1]

من هنا إذن نلاحظ أن عبثية العالم أو الوجود والحياة ليست وليدة الصدفة أو دخيلة على الإنسان لوحدها وإنما هي من صنعه هو وحده وليس للطبيعة دخل في ذلك فاللامعقول الذي نراه في الوجود والعالم هو من خلقه، إنه هو من خلق اللامنطق في حياته وجعل الحياة بلا معنى، أو هدف بسبب مبالاته وعدم حرصه على النتائج التي تترتب عنها الأعمال التي يقوم بها، إنه يعيش بلا أمل، أي يعيش من أجل أن يعيش.

ولقد جسد "كامو" فكرة اللامعقول هذه في شخصية "سيزيف" التي قاومت من أجل تحقيق هدفها وذلك عن طريق القيام بعمل تافه وشاق في نفس الوقت عقابًا على الخيانة فهذه الشخصية الأسطورية التي اعتمد عليها "كامو" ليفسر حالة الإنسان في هذا الوجود ومعاناته مع الحياة وآماله في تحقيق الراحة والسعادة عن طريق التحدي والإصرار حتى يحقق ذاته في هذا العالم: «لقد حكمت الآلهة على "سيزيف" بأن يرفع صخرة بلا انقطاع إلى قمة الجبل حيث تسقط الصخرة بسبب ثقلها ثانية، لقد ظنوا لسبب معقول أنه ليس هنالك عقاب أبشع من العمل التافه الذي لا أمل فيه»[2].

ما نلاحظه من خلال هذه الأسطورة أن "كامو" حاول أن يسلط الضوء على حالة الإنسان في العصر الحديث، الذي يحاول كسر قيود الحياة وتحطيمها من أجل الوصول إلى تحقيق هدفه المتمثل في حياة أفضل، خالية من الغموض والمأساة والمعاناة، حياة كلها أمل وراحة والتحرر بالتالي من السجن الذي هو فيه والمتمثل في المحال واللامعنى، هذا التحرر لا يكون

1- إيريك فروم، **كينونة الإنسان**، ص ص(29،30).

2- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص 138.

إلا بالوعي، أي عندما يعي هذا الإنسان أن تكرار عمل ليس له فائدة ولا جدوى منه، فإنه يكون قد فهم غايته من هذا الوجود، أكثر من ذلك عندما يصحو من غفلته هذه يجد نفسه يعيش في عالم خال من القيم والروح الإنسانية، عالم غابت فيه كل معاني الأخوة والتضامن عندما يدركها الإنسان تعتريه حالة من القلق والاشمئزاز والذعر والخوف من الموت وهو ما يجعله يبحث عن طريق للخلاص. في هذا يقول: «"فيودرو دو ستويفسكي"* أن هذا الأنين يعبر في البداية عن لا هدفية الألم، الأمر الذي لا يرضى به إدراكك. إنه يعبر عن نظام الطبيعة المشروع بأجمعه، ذلك النظام الذي تبصق عليه باحتقار والذي تتعذب لوجوده في حين أن الطبيعة لا تعاني شيئًا من ذلك العذاب، ويعبر هذا الأنين أيضا عن إدراك أنّك لا تجد عدوًا تعاقبه وإنما تتألم وحسب، وعن أنه بالرغم من كل العلاجات الطبية المحتملة، فإنك لا تستطيع إلا تطيع أسنانك التي تستعبدك بالألم، وقد تكف أسنانك عن إيلامك إذا أراد أحد ذلك، وإلا فإنها قد تستمر على إيلامك ثلاثة شهور أخرى. وإذا ظل فيك شيء من العناد والاحتجاج بعد ذلك كله فأنت لا تملك إلا أن تلهب نفسك بالسياط أو تنطح الجدار أو تضرب عليه بقبضتك بكل قوتك، وليس في إمكانك أن ترضي نفسك بأكثر من هذا».[1]

هذه هي حالة الإنسان المعاصر الذي يتخبط ويتألم من جراء الأوضاع التي يعيشها والتي يحاول مقاومتها والتصدي لها حتى يصل إلى هدفه، وهو ما لا يتم إلا إذا حاول فك القيود التي ربطها على نفسه بالتحدي والإصرار والرغبة في ذلك، لأنه إذا لم تكن له هذه الجرأة فإنه يبقى عبدًا للأشياء التي صنعها بفكره وبإرادته، فالاستسلام والانتظار هو وجه من أوجه العبث، لأنه يجعل الإنسان يعيش في حلقة مفرغة، ولا يدرك ما يحمله الغد، لأنه قيد حياته بالأمل الذي يجعله أسيرًا لشخصيته، وبالتالي يصبح مقهورًا لأنه لم يحقق هدفه الذي عمل من أجله والمتمثل في تحقيق ذاته بكل حرية دون قيود أو ضغوطات من الآخرين، أي دون التعرض إلى القهر والهدر الذين يشتركان في تفاقم المأزق المتراكم بحيث يصبح الوجود غير

* **فيودور دو ستويفسكي**: (1881–1821) روائي روسي أشهر كتبه الجريمة والعقاب (1866)، الإخوة كارامازوف (1881)، الأبله (1868) وغيرهم.

1– فيودور دو ستويفسكي، **الإنسان الصّرصار أو رسائل من أعماق الأرض**، ترجمة أنيس زكي حسين، (بيروت: دار العلم للملايين ط1، 1959)، ص 09.

قابل للاحتمال والمواجهة، وهو ما يؤدي إلى بروز كل آليات الدفاع السلبية التي وإن حملت توازنًا بدلاً من نوع ما يجعل الحياة قابلة للاحتمال، إلا أنها تكرس الهدر والقهر وتعيد إنتاجهما من خلال تعطيل طاقات المجابهة والتغيير والنماء والانطلاق، وبذلك يدخل الإنسان المهدور في حلقة مفرغة: يهرب من هدره وقهره كي يقع في عطالة المشروع الوجودي من خلال تبديد الطاقات الحيوية في خدمة الدفاعات التي توفر توازنًا مرضيا. في الحالتين نحن بصدد كارثة وجودية من هدر كيان لابد من الوعي بديناميتها وألعابها البائسة المدمرة، خارجيا أو ذاتيا على الأقل، بانتظار توفر ظروف المجابهة الخارجية. وهنا يلعب كل من التفكير الإيجابي وتنشيطه عن قصد ووعي والعواطف الإيجابية وتنميتها، والارتباط بقضايا كبرى دور فتح آفاق التحرر من الهجر والقهر [1].

يفهم من ذلك أن الإنسان عليه أن يواجه الوجود العبثي ويتكيف معه، وهو ما لا يتحقق إلا باستعمال الوعي والتفكير الإيجابي بها أنه وسيلة من وسائل القضاء على عبثية الوجود والتحرر منه وإلا بقي أسيرًا لحقائقه الغامضة في هذا السياق يقول كامو: «هنالك حقيقة واضحة تلوح أخلاقية تماما، وهي أن الإنسان دائما ضحية حقائقه، فإنه حين يقربها لا يستطيع أن يحرر نفسه منها، وعلى المرء أن يدفع شيئًا، والإنسان الذي يكون مدركا للاجدوى يرتبط بها إلى الأبد، والإنسان الخالي من الأمل الذي يدرك أنه كذلك لا يعود يمد للمستقبل بصلة وهذا طبيعي، ولكن من الطبيعي أيضا أن يكافح ليتخلص من لامعقولية الكون. وليس لما ذكرته مغزى إلا بموجب هذا التعارض، ولقد أقر البعض بالجو اللامجدي مبتدئين بنقد المعقولية وليس هناك شيء أدل هنا من تفحص الطريقة التي توصلوا إلى بها نتائجهم.[2]

فعلى الإنسان أن يقاوم ويكافح في هذا الوجود حتى يتحرر من اللامعقولية واللاجدوى لأن العبث موجود بالقوة وهذا ما يؤكده الواقع المعيش حيث أصبحت ظاهرة العبث بالمرافق العامة من الظواهر التي تشكل هاجسا مؤرقا للجميع، فكل واحد منا يتمنى أن يجد كل المرافق سليمة ليستفيد منها، والعبث بها يؤدي إلى تشويه المنظر العام لأي مرفق تصله أيادي العابثين تلك الظاهرة مؤشر خطير يلقي بظلاله على مجتمعنا نتيجة تصرفات غير مسؤولة تمارس في

1- مصطفى حجازي، **الإنسان المهدور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية)**، (دار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي للنشر، ط1 2005)، ص 16.

2- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص ص (40،41).

ظل غياب الذوق العام والجهل التام بأهمية هذه المنجزات في حياتنا الاجتماعية اليومية وتطول هذه الظاهرة في المقام الأول المشاريع البلدية التي دوما تتعرض لعبث العابثين بالتكسير والتشويه)[1]. ومنه فالعبث هو من صنع أنفسنا نحن: أي نحن الذين أردنا أن نجعل هذا الوجود عبثًا، وإلا كيف يدمر الإنسان الأشياء التي وضعت لمصلحته ولفائدته؟ ألا يدرك المنفعة من الضرر؟ ألا يعي الفساد من الإصلاح؟ ألا يعقل القبيح من الجميل... إلخ. لا إنه يعي ويعقل ويدرك كل شيء إلا أنه يحمل في داخله الشعور بالعبث هذا الشعور هو الذي جعله ينظر إلى العالم بأنه غير معقول، فإذن هو مسؤول عن عبثيته فهو الذي ساهم في ظهور اللامبالاة والعنف والحقد والظلم والفساد والتخريب... وكل هذه التصرفات شكلت العبث في حياته وفي العالم والوجود بصفة عامة، يقول كامو« والبشر أيضا يحتفظون في أنفسهم باللابشرية، ففي لحظات معينة من الوضوح والمظهر الميكانيكي كحركاتهم، تجعل تلك الحركات الخرساء السخيفة التي لا معنى لها كل شيء يحيط بهم يتصف بتلك السخافة، رجل يتحدث في التلفون وراء حاجز زجاجي، أنت لا تستطيع أن تسمعه ولكنك ترى منظره الصامت غير المفهوم وتتساءل:« لماذا هو حي؟ فهذا أو هذا–الغثيان–هو أيضا اللاجدوى وكذلك فإن الغريب الذي يأتي أحيانا لمواجهتنا في المرآة الشقيق المألوف ومع ذلك المفزع الذي نراه في صورنا الفوتوغرافية هو أيضا اللاجدوى»[2].معنى ذلك أن اللاجدوى يظهر في الحركات والأفعال التي يقوم بها الإنسان ليعبر عن وجوده في هذا العالم.

فاللامنتمي إنسان استيقظ على الفوضى، ولم يجد سببا يدفعه على الاعتقاد بأن الفوضى إيجابية بالنسبة إلى الحياة، بأنها جرثومة الحياة [3]، وكلما حاول الإنسان أن يتخلص من العبث، يجد نفسه فيه، ولهذا فهو يعيش في الألم والتوتر والخوّف من هذا الوجود، ويحاول الهروب منه بكل الوسائل، وها هو "كاليجولا" "Caligula" في مسرحية "كاليجولا" يتحاور مع

1– سعيد الدوسري، **العبث بالممتلكات العامة إلى أين؟** www.alsharq.net.sa

2– ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص ص(24،23).

3– كولون ولسون، **اللامنتمي**، ترجمة على مولا، (بيروت: دار الأدب، ط5، 2003)، ص14.

هيليكون"Hélicon" على لا معقولية هذا العالم أو الوجود، فيحاول الهروب منه من أجل تحقيق سعادته وهو ما يتجلى في هذه السطور:

-**كاليجولا:** نعم أعرف ومع ذلك أنا لم أفقد عقلي، بل على العكس تماما، إنني الآن أصفي ذهني من أي زمن مضى، والأمر ببساطة، هو أنني شعرت فجأة أني بحاجة لشيء مستحيل التحقيق، وحسب وجهة نظري إن نظام الأشياء سيئ، لا يفيد أبدا ولا يرضيني...

- **هيليكون:** إنّها وجهة نظر شائعة!

-**كاليجولا:** حقا! إلا أنني لا أعلم هذا من قبل، أما الآن فقد أدركت ذلك، هذا العالم بحالته التي هو عليها، لا يطاق، لهذا أحتاج إلى القمر أو الفردوس أو الخلود لأي شيء، حتى ولو كان جنونيا، فقط ألا يكون... من هذا العالم.

- **هيليكون:** إنه استدلال عقلي منطقي، لكن هنالك قلة من البشر، من تستطيع أن تسير على هذا المنطق حتى نهاية الطريق. [1] ومنه "فكاليجولا" يبحث عن عالم آخر يجد فيه سعادة وراحة ليتخلص من هذا العالم الذي لا يطاق، والذي لا يساعده على الاستمرار والعيش في ظل السعادة والحرية، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أن هذا الواقع الذي نعيشه اليوم والذي ظاهره كله عبث لا يستطيع الإنسان أن يعيش فيه بحريته وبأخلاقه باعتباره مجتمعًا قد سلبت منه الحياة، الحروب التي تمارس ضد الطفولة، ضد الشيوخ، ضد النساء أي ضد المدنيين ألا تعتبر عبثا في حقهم؟ نعم إنّها صور من العبث، فالإنسان الذي لا يستطيع أن يعيش بسلام في هذا العالم عليه أن يتخلص وأن يجد عالمًا آخر يسوده الأمن والطمأنينة وهذا ما حاول "كاليجولا" البحث عنه عندما طلب القمر أو الفردوس أو الخلود للتخلص من الوجود الذي كان فيه والذي لا يطاق.

يقول كامو: «وفي أية زاوية من زوايا من الشارع يمكن للاجدوى أن تصفع أي إنسان على وجهه، وهي في عريها المقلق، وفي ضوئها بدون بريق مظلّله، ولكن تلك الصعوبة نفسها تستحق التأمل، ولعله من الصحيح أن الإنسان يظل غير معروف أبدًا بالنسبة لنا وإن فيه شيئًا يغيب عن ذكرنا، شيئًا لا يمكن تقليصه لنفهمه، ولكنني عمليا أعرف الناس وأميزهم بسلوكهم بمجموع أفعالهم وبالنتائج التي يتركها وجودهم في الحياة، وكذلك هي كل تلك المشاعر العاقلة

1- ألبير كامو، **كاليجولا**، ترجمة يوسف إبراهيم الجهماني، (دمشق: دار حوران للطباعة والترجمة والنشر، ب ط، ب س)، ص 21.

التي لا تفسح مجالاً للتحليل. إنني أستطيع أن أعرفها عملياً، بأن أجمع معًا مجموع النتائج في مجال الإدراك، بأن أقبض عليها وألاحظ كل مظاهرها، وبأن أضع خطوط كونها لا شك في أنه من الواضح أنني بالرغم من رؤيتي للمثل نفسه مائة مرة، لا أستطيع أنّ أعرفه شخصيًا بصورة أفضل لذلك السبب» [1].

لذلك السبب على الإنسان أن يتأمل اللاجدوى ويدركها حتى لا يقع في الوجود العبثي أي عليه أن يميز بين أفعاله ونتائجها لكي يتخلص من لا معقوليتها، لأن الوجود العبثي لا يمكنه من فهم حياته، فيعيش دائما في الاكتئاب والقلق من المصير الذي يصطدم به من جراء لا محالية الوجود، فعدم فهمه للحياة وثقلها والعادة التي يفرضها الوجود عليه يؤدي بالإنسان المدرك لذاته إلى الشعور بأن الحياة لا تستحق العناء، إلا أنه يستمر في أداء الحركة التي يفرضها عليه الوجود، بحكم العادة والموت طوعًا، وهذا يتضمن أنه يدرك غريزيًا صفة تلك العادة العبثية، وعدم وجود أي سبب عميق للعيش...الصفة اللامعقولة والعبثية لذلك الدأب اليومي، ولا جدوى العذاب أو الألم! وفجأة يشعر بغربة في كون يتجر فجأة من الأوهام التي كان يعيش عليها. هنا يحدث ما يشبه الانفصال بين الإنسان وحياته، كالمثل ومشهده، وهذا هو بالضبط الشعور بالعبث.[2]

إن النظرة التشاؤمية لصراع الإنسان مع نفسه لمواجهة عبثية الوجود لم تنتهى بعد فمنذ الأزل والإنسان يصارع الوجود، ليتغلب على هذا الشعور إلا أنّه لم يستطع لأن العادة فرضت نفسها عليه، أي أنه محكوم عليه بممارسة أفعاله وحركاته، ففكرة اللاجدوى تسيطر على كل شيء، ومسرح العبث يرى أن كل الأفعال والأنشطة التي يقوم بها الإنسان، وكل الخبرات التي يكتسبها مهما بالغ في فلسفة قيمتها ونفعها، ماهي في حقيقة الأمر سوى ألعاب تسلية لا طائل من ورائها، ولا تغير من شيء، وفائدتها الوحيدة هي قطع الوقت، وقتل الملل في انتظار خلاص لا يجيء في الرقعة الجدباء بين ميلاد لا اختيار للإنسان فيه، وموت كثير ما يستعصى عليه، وإذا جاء لا يمثل خلاصًا أو مولودًا جديدًا بل يمثل العدم الكامل.[3]

1- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص ص (20،19).

2- نادية البنهاوي، **بذور العبث في التراجيديا بالإغريقية وأثرها على مسرح العبث المعاصر في الغرب وفي مصر**، ص ص(17،16).

3- نهاد صليحة، **التيارات المسرحية المعاصرة**، ص 128.

الحياة في الوجود العبثي ما هي إلا تمضية للوقت وتسلية لقتل الروتين والملل ومهما بلغ الإنسان درجة من المعرفة والعلم إلا أنّه يبقى يعيش في العبث واللاجدوى، لأن الفطرة التي فطر عليها تجعله يحمل في ذاته بذور العادة والروتين في حياته، ولا يوجد إنسان تخلو حياته منها، فكل الناس يعيشون في الرتابة والكآبة والعادة والقلق والأمل، والخوف من الموت وهذا التفكير في حد ذاته هو الذي يبعث في نفسيته مثل هذا الشعور بل أكثر من ذلك الشعور بالاغتراب.

يبدو العالم أحيانا وكأنه خال من المعنى، كما أن الواقع غير واقعي، هذا الشعور يزيف الواقع والبحث عن واقع ضروري منسي، والذي لا يشعرك بوجودك خارجه، وهو ما يعبر عن الشخصية التائهة في عدم الانسجام والتي لا تملك شيئًا خاصا خارج قلقها وندمها وإخفاقاتها وهجر عالمها، كائنات غارقة في غياب المعنى وكما أن معاناتها لا يمكن أن تكون سوى سخرية تراجيدية هكذا يبدو لك أن العالم غير مفهوم، وتنتظر أن يفهمك إياه [1].

الوجود والعالم لا يمكن فهمه، لأنّه غريب والإنسان يشعر بأنه كذلك ولا يعي ما يفعله لكي يواجه اللامنطق والمحال الذي يسكنه، هذا الوضع يدفعه إلى الاعتراف بأن الحياة في هذا الوجود عبثية لا تستحق أن تعاش، حيث تختلط الأوراق ويفقد توازنه الروحي وتتزعزع كل معتقداته كيف لا وقد أدرك أنه لم يعد أمامه من قيمة تستحق تفكيره إلى الموت [2]. فكلمة العبث كما يقول: "سارتر" تولد الآن تحت قلمي، صحيح أني لم أجدها حين كنت في الحديقة ولكني مع ذلك أبحث عنها، فلم تكن لي حاجة إليها: كنت أفكر بلا كلام عن الأشياء مع الأشياء، لم تكن العبثية فكرة في راسي، ولا لها صوت، وإنما كانت هذه الحياة الطويلة الميتة عند قدمي، هذه الحية الخشبية، حية أو ظفر أو جذر أو مخلب نسر، كل هذا علي السواء...إني وجدت مفتاح الكينونة، مفتاح غيثاناتي، مفتاح حياتي نفسها [3] "فسارتر" "Sartre" كشف العبث أو الغثيان من الواقع أو من الوجود، أي من خلال احتكاكه مع الحياة وممارسة حريته، فالعبث موجود في الإنسان، وهو من يخلقه وهذا بسبب اللامبالاة وعدم إعطاء المعني

1 –Eugne l'onexo, **notes et contre notes édition**, p 261.

2– نبيل مراد، **مسرح العبث فلسفة وتقنية**، في مجلة الفكر المعاصر، 1985، ص 132.

3– جون بول سارتر، **الغثيان**، ترجمة سهيل إدريس، ص 880–881.

للحياة، ويضيف "سارتر"Sartre" أن الغثيان ليس في: فانا أحسه هناك علي الجدار على الرافعتين، حولي في كل مكان، فليس هو والمقهى إلا شيئا واحدا [1]. والغثيان هو الشعور الطبيعي الذي يظهر لأي واحد ويواجه التشويش المتدفق اللزج، الغامض الذي يكون عالم المظهر المحسوس القلق هو الشعور الطبيعي الذي ينتج في مواجهة الانفتاح لمستقبلنا انه العدم في مركز ما نعيش فيه [2]، أي أن العبث موجود فينا وهو ناتج عن الروتين والآلية في أعمالنا اليومية وهو ما خلق فينا الشعور بالملل والقلق والنفور من الحياة التي فقدت معناه خاصة بعد الحروب العالمية، وعندما يدرك أن حياته ليس لها قيمة ولا أمل في عيشها في هذا الوجود العبثي يلجأ إلى البحث عن طريق آخر للهروب من هذه اللامعقولية السائدة في العالم ويجد أن الانتحار والموت هو الحل المناسب والطريق إلى الراحة والتخلص من الاغتراب والاكتئاب وكل تلك المشاعر التي تعكر مزاجه.

المبحث الثاني: دواعي الخروج من اللامعقول:

1- الانتحار الجسدي:

يرى "كامو" أن الإنسان عندما يعي أن الحياة التي يعيشها لا جدوى منها، باعتبارها تخلو من المعنى وليس لها فائدة فإنه يلجأ إلى الانتحار من أجل الخروج من المحال واللامعقول ومن العبث الموجود في هذا العالم وفي هذه الحياة بصفة عامة. حيث يقول: «وهكذا يؤدي كل شيء إلى نشر الارتباك وحتى الآن لم يكن ذلك بالجهد الضائع تلاعب الناس بالكلمات وتظاهروا بأن إنكار المعنى على الحياة يؤدي بالضرورة إلى إعلان أنها لا تستحق أن تعاش والحق أنه ليس هنالك مقياس ضروري عام بين هذين الرأيين، وعلى المرء فقط أن يرفض الانخداع بالارتباكات، والانفصالات والأمور غير المنسجمة التي أشارت إليها. على المرء أن ينحي كل شيء جانبا ويتجه مباشرة إلى المشكلة الحقيقية، إن المرء ينتحر لأن الحياة لا تستحق أن تعاش، وتلك حقيقة أكيدة–ولكنها غير مثمرة لأنها حقيقية عادية» [3].

وهنا نلاحظ أن "كامو" عندما حاول أن يفسر حقيقة الحياة وهل تستحق أن تعاش رغم خلوها من المعنى، لم يبحث عن أصل الماهية، أو أصل الإنسان ومصيره، وإنّما حاول البحث

1- جون بول سارتر، **الغثيان**، ص30.

2- محمد شفيق شيا، **في الأدب الفلسفي**، ص ص80-81

3- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص 17.

في مشكلة الانتحار، والتي تعد من أخطر المشكلات وذلك لخطورة الأفعال التي تلزم الإنسان بها، والسلوك الذي يترتب عليها، إن كل ما عداها من مشكلات مثل البحث عن صواب الدليل الأنطولوجي على وجود الله أو خطئه، والسؤال عما إذا كانت الأرض تدور حول الشمس أو الشمس حول الأرض، وعما إذا كان عدد المقولات خمسة أو ستة، كل هذه مشكلات باطلة لا تستحق السؤال عنها، ولا تغنينا الإجابة عنها في قليل أو كثير، لست أعرف أحدًا مات في سبيل الدليل الأنطولوجي[1]، ومنه فهو يدعو إلى ضرورة النظر في مشكلة الانتحار والبحث فيها أفضل من البحث في الأسئلة الميتافيزيقية والتي ليس لها جواب شاف.

الانتحار مشكل خطير يهدد الإنسان ويجعله يعيش في قلق وارتباك. إنه وتر سواء كان وترًا موسيقيا يهزه لكي ينتحر، أو هو وتر يائس استعاره ليعبر به عما وصل إليه من مأساة هزت مشاعره فطلب الانتحار، هو هاجس على كل حال، بما يراوده من أفكار سوداوية قاتمة ألحت عليه، وضغطت على روحه، فأصبح يشكل هدفه الأخير، إنه يرن في أذنه وفي أعماقه وحياته كلها وربما لم تسعفه الإرادة لينتحر فعلا، وإنما يتقدم نحو نهايته المؤلمة شيئًا فشيئًا فعند كل صدمة يلقاها كان يتراءى له أنه الحل الوحيد الذي يضع حدًا لآلامه، وهو حين يخاطب هذا الوتر إنما هو في الحقيقة يرسم نهايته الحزينة [2]. فالإنسان عندما لا يستطيع فهم حياته وإيجاد حلول لمشاكله اليومية، ولا يستطيع مقاومة الظروف التي تحيط به ويعجز عن الوصول إلى تحقيق حياة أفضل تعمها السعادة والراحة يلجأ إلى الانتحار الذي يمتلك عدة أشكال، فقد يكون عن طريق تناول الأدوية الخطيرة وبكميات كبيرة أو عن طريق الحرق أو الغرق أو الانتحار عن طريق الخنق أو القفز من أعلى المباني بغية وضع النهاية لحياته نتيجة الشعور بالعبث.

إن المنتحر يختار ما توفر أمامه من وسائل، وتيسر له الحصول عليها، ولا علاقة لوسيلة الانتحار بنفسية أو شخصية المنتحر، بل يقترحها عليه المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، فإن أغلب المرضى يتناولون عقاقيرهم المسكنة والمنومة بكميات وفيرة، وكل العسكريين الذين يتوفر معهم السلاح الناري لطبيعة عملهم، استخدموه في محاولاتهم الانتحارية، أما الإناث

1- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، ص 48.

2- عبد الله زكي، **من التمرد إلى الانتحار**، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، ب ط، 1986)، ص 100.

فإن أكثرهن إما قفزن من أعلى مساكنهن أو يتناولن المبيدات الحشرية المتوفرة بالمنزل وقد قام أغلب الخدم بحرق أنفسهم والقفز من أعلى المباني. [1]

يحدث الانتحار الجسدي عندما لا يجد الإنسان السبيل للخروج من معاناته وآلامه، أي عندما لا يجد حلاً للمشاكل التي تعيق طريقه وتمنعه من العيش دون قلق وتوتر، وهو الطريق أو الوسيلة التي يلجأ إليها الإنسان للتخلص من حياته التعيسة وهو في الحقيقة سلوك غير معقول، لأن الإنسان حين يدرك أن الحياة التي يحياها لا معنى لها من المفروض أن يواجهها وأن يتحداها مثلما فعل "سيزيف" الذي عوقب بإصعاد الصخرة إلى الأعلى وعند تدحرجها يقوم بإصعادها مرة أخرى، وهو يرى ويدرك أن هذا العمل الذي يقوم به لا فائدة منه، وأنه خال من المعنى، إلا أنّه قام بالتحدي ولم يندثر ولم يفشل ولم يصل بعد إلى درجة اليأس والقنوط، ولم يلجأ إلى الانتحار، كأنه يشعر باللاتناهي ويؤمن بالخلود فهو تحدى هذا العمل التافه النضال بالتكرار دون توقف من أجل تحقيق الانتصار، وهذا ما أكده "غاستون باشلار" Gaston Bachelard (1884-1962) فأن يتوقف عن السيلان معناه التوقف عن الوجود وحين نغادر قطار العالم قد نغادر الحياة، إن التجمد معناه الموت[2] فمادام الإنسان حيًا عليه أن يواجه الحياة وأن يجعلها تستحق العيش وذلك من خلال التحدي والمواجهة والصبر والوعي، وعندما يدرك أو يعي أنّها خالية من المعنى، عليه أن يضفي عليها المعنى ويجعلها قابلة للعيش.

إذن يرفض "كامو" الانتحار الجسدي، لأن اختيار الموت معناه القبول بالهزيمة، وهو يرى أن الوعي المدرك للعبث يمثل البطولة الحقيقية للإنسان، فاختيار الوعي للثبات هو التجربة المعبرة عن الموقف الوجودي الأصيل، وليس هذا مبررًا للقضاء عليها بالانتحار وإنّما علينا أن نبقى في حالة التوتر القائمة بين الوعي المحترق شوقا إلى اليقين والعالم الصامت الذي يرفض أن يستجيب لأشواق العقل، والموافقة على الانتحار معناه وضع حد لهذا التوتر الذي يؤسس نبض الحياة [3].

إن الحياة شيء مقدس لا يمكن العبث فيه، وعلى الإنسان أن يدرك معناها وكيف يمكن أن تعاش، أي عليه أن يوفر الظروف اللائقة لكي يعيش حياة سعيدة أفضل. أي المهم بعد أن

1- بن عبد الله غنية، **الانتحار بين الوسيلة والمعنى**، (الجزائر: في مجلة مشكلات الحضارة، العدد 03، 2015)، ص 10.

2- غاستون باشلار، **جدلية الزمن**، ترجمة أحمد خليل، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1992)، ص 14.

3- حسن حماد، **الاغتراب الوجودي**، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ب ط، ب س)، ص 121.

نرجع إلى أصل الأشياء، بل أن نعرف العالم على ما هو عليه–كيف نتصرف فيه، ففي زمان الإنكار ربما كان من السهل أن نتساءل حول مشكلة الانتحار، أما في زمن النظريات العقائدية فيجب السير بموجب الأصول مع القتل. فإذا كان للقتل أسبابه فنحن وزماننا على هدى من أمرنا، وإذا لم يكن له أسبابه، فنحن في دوامة الجنون. [1]

لقد رفض كامو الانتحار وقد برز ذلك أن بإمكانه قتل الآخرين في المقابل، فالانتحار ليس هو الحل النهائي لعبثية الوجود، وإنما على الإنسان أن يجد حلاً آخر يكون معقولاً، وإذا لم يكن ثمة معنى أو غرض للحياة فما أهمية الاستمرار فيها؟ الانتحار يتم الإعداد له داخل صمت القلب، شأنه في ذلك شأن العمل الفني العظيم عندما يموت المرء بيده، ففي ذلك اعتراف بغياب أي سبب حاد للحياة... وعقم المعاناة، وفي غياب الإلهي أو القاضي الإلهي يصبح الموجود البشري متهما وقاضيا في آن واحد معًا، كما يصبح له الحق في إدانة نفسه[2] ومنه فالهروب من الحياة وعدم مواجهتها واللجوء إلى الانتحار هو في الحقيقة سلوك أو تصرف عبثي، وعليه أن يتجاوز هذا التفكير الساذج، العقيم الذي ليس له قيمة وفائدة وأن يبحث عن تفكير سليم، ناضج يساعده على إيجاد حل لعبثية الوجود.

يقول كامو: «هناك أسباب كثيرة للانتحار، وبصورة عامة نجد أن أوضح هذه الأسباب ليس أقواها، نادرًا ما يتم بارتكاب الانتحار بعد تأمل، وليس في الوسع غالبا التعلق بما يبعد الكارثة، فالصحف كثيرًا ما تتحدث عن–التعازي الشخصية–أو عن–المرض الذي لا يرجى شفاؤه–وهذه التفسيرات مقبولة، ولكن على المرء أن يعرف ما إذا لم يكن صديق ذلك الشخص اليائس قد خاطبه في ذلك النهار نفسه بلا اكتراث هو المذنب، لأن ذلك يكفي التعجيل بكل الأحقاد، والأقسام، بيد أنّه صعب تعيين اللحظة المضبوطة، الخطوة الدقيقة[3]. ومنه فالإنسان لا يختار أسباب الانتحار فهو مدفوع إلى ذلك دون إرادة أو وعي بذلك ويضيف كامو: «حيث يكون الذهن قد اختار الموت، فمن السهل استنتاج النتائج التي يشمل عليها الفعل نفسه. فبمعنى من المعاني، وكما هو الأمر في روايات الرعب يرقى قتلك لنفسك، إلى منزلة الاعتراف. إنّه الاعتراف بأن الحياة كثيرة عليك، أو بأنك لا تفهمها، دعنا لا نذهب بعيدًا في

1– ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ترجمة نها رضا، (بيروت: منشورات عويدات، ط3، 1973)، ص 09.

2– ديفيد زين ميروفيتش ألن كوركوس، **أقدم لك كامي**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2002)، ص77.

3– ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص 13.

سرد هذه الاستنتاجات، ولنعد إلى كلمات الحياة اليومية. إن ذلك هو مجرد اعتراف بأن–ذلك لا يستحق العناء–فالعيش، بالطبع، ليس سهلاً. فأنت تستمر على أداء الحركة التي يأمر بها الوجود لأسباب عديدة، أولها العادة. والموت طوعًا يتضمن أنك قد أدركت، ولو غريزيًا، صفة تلك العادة المضحكة، وعدم وجود أي سبب ولا جدوى العذاب». [1] وهنا نلاحظ أن "ألبير كامو" يرى أن أسباب الانتحار كثيرة وأولها العادة فالإنسان إذا أحس أن حياته اليومية بحركاتها وأفعالها تتكرر بنفس الوتيرة وبنفس الصفة فإنّه يلجأ إلى الاعتراف باللامبالاة باعتبار أن لا شيء فيها يتغير ولا جديد، ولهذا لا بد من الانتحار للتخلص من هذا المحال الذي يفرض نفسه على الوجود. ومنه فالإنسان في معظم الحالات ينتحر لأسباب تافهة، إلا أنه مما يؤسف له تتعقد المشاكل أكثر لدخول عناصر جديدة تتألف من حاجات الإنسان التافهة التي تسيطر على انتباهه، كالرغبة في مرافقة الناس وفهمهم وللشعور بالمشاركة في الحياة الإنسانية الاجتماعية، بالإضافة إلى الحاجات الضرورية طبعًا، كالمأوى والطعام والشراب، ويحاول الفنان أن يصرف الانتباه إلى هذه الأشياء، إلا أن ذلك صعب أيضًا، لوجود عدد جما من الأشياء الأخرى الهامة التي يجب أن يفكر فيها أيضًا، ويزيد الطين بلة ما يبديه الناس من عداوة تجعل الإنسان يسأل نفسه دائمًا هل أنا مخطئ؟ ويؤدي هذا بالفنان اللامنتمي أحيانا إلى التفكير بالانتحار، إلا أنّه قبل أن يصل إلى هذه النقطة يحس بأن الكون صار يعني شيئًا من جديد، ويدرك شيئًا من الهدف.[2]

إن الإنسان العبثي أو اللامنتمي عندما تختلط عليه الأمور وتتشابك ولا يجد لها مخرج يفكر في الانتحار الذي يظنه وسيلة لتحقيق الراحة في هذا الوجود. يقول كامو: «وفي إحدى الأمسيات يضغط على الزناد أو يقفز وقد علمت من مشرف على بناء العمارات كان قد انتحر لأنه فقد ابنته قبل خمس سنوات، وإنه كان قد تغير كثيرا منذ ذلك الحين وأن تلك التجربة كانت قد هدمته، ولا يمكننا أن نتصور كلمة أدق من هذه، فالبدء بالتفكير هو البدء بالتهدم وليس للمجتمع إلا صلات قليلة، تلك هي البدايات. الدودة هي في قلب الإنسان وعلينا أن نفتش عنها هناك وعلى المرء أن يتبع ويتفهم تلك اللعبة القائلة التي تقود من الوضوح في وجه الوجود

1- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص ص (14-13).

2- كولون ولسون، **اللامنتمي**، ص 103.

إلى الفرار من الضياء»[1]. فعبثية الموت هذه هي التي تهدم كيان الإنسان، ومجرد تفكيره في الانتحار أو الموت، بمثابة الاعتراف باللامعقول واللامنطق في الحياة واللاعدالة في توزيع الحقوق والواجبات.

وعبر التراجيديا اليونانية سنجد كثيرا من الشخصيات التي تقع في ظلمة الموت الأبرياء وغير الأبرياء على حد سواء صغارا أم كبارا. وإن كانت المأساوية تكمن وتتضح من خلال موت أبرياء لم يقترفوا أي إثم يعاقبوا بالموت عليه، وعلى وجه الخصوص من يكونون منهم في مرحلة الشباب أو الطفولة، وهنا يتعمق الشعور بعبثية الموت لمن يدركون عبثية موت الأبرياء، ومن ثم يدركون عبثية حياتهم هم أنفسهم، لكنهم يحملون صخورهم أو يتحولون إلى صخور ويستمرون في الحياة استمرارا عبثيا ولا معقولا. [2]

نلاحظ أن ظاهرة الانتحار إذن ليست جديدة على المجتمع وإنما هي موجودة منذ القدم ومذكورة في أساطير اليونان مثل" **أسطورة سيزيف والنار المقدسة**" و"**أسطورة ذو العيون المائة**"، هذه الأخيرة ما هي إلا آراء وأقوال حول وضع الإنسان في الوجود العبثي وكيف يواجه الموت والانتحار، فالأسطورة ما هي إلا رؤية متوارثة لوضع الإنسان العبثي في الكون منذ نشأته وعذابه غير المفهوم وغير المعقول، وصراعه وتحديه لقدره مع نفسه ومع الأقوياء الذين يمثلون الأغلبية أحيانا، وأحيانا أخرى يمثلون الآلهة المعادلين بكل الجبروت والتسلط وإن كان ذلك الصراع ينتهي بموت الإنسان بالطبع مما يزيد شعوره بالارتباك والفوضوية والانغماس في الملذات الحسية لعدم الفهم، وكذلك معاناته من انعدام حريته وعدم شعوره بالعدالة الإلاهية وعلى الرغم من ذلك يجاهد من أجل إيجاد هدف له في الحياة.[3]

يلجأ الشخص إلى الانتحار عندما يرى أن حياته بلا هدف. وفي هذا السياق يقول دوركايم Durkheim (1858-1917): «ألا تنجم هذه الانتحارات ببساطة عن أن الإنسان الذي يجد حياته تعيسة، من الواضح أنه عندما ينتحر المرء بهذه التلقائية، فهو لا يحرص كثيرا على وجود كون عنه بالنتيجة، تصورا سوداويا أكثر أو أقل، غير أنه بصدد هذا الجانب فإن كافة الانتحارات متشابهة، و مع ذلك سيكون من الخطأ الفادح أن لا نضع بينها أي تميز لأن هذا

1- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص13.

2- نادية البنهاوي، **بذور العبث في التراجيديا الإغريقية وأثرها على مسرح العبث المعاصر في الغرب وفي مصر**، ص 87.

3- نادية البنهاوي، المرجع نفسه، ص ص (11،12).

التصور ليس له دائما السبب نفسه، وبالتالي فهو ليس متماثلا على الرغم من المظاهر في مختلف الحالات، ففي حين أن تعاسة الأناني تكمن في أنه لا يرى في العالم أي شيء واقعي غير الفرد فإن تعاسة الآخرين تنجم على العكس من أن الفرد يبدو له مجردا من كل حقيقة واقعية، الأول منفصل عن الحياة لأنه حينما لا يرى أي هدف يمكنه أن يتعلق به، يحس بأنه عديم الجدوى ودون فائدة في الوجود، والآخر يضع نصب عينيه هدفا، ولكن هذا الهدف واقع خارج هذه الحياة التي تبدو له بوصفها عقبة تمنع من الوصول إليه[1]."فدوركايم" "Durkheim" يرى أن الإنسان يلجأ إلى الانتحار عندما لا يستطيع أن يحقق هدفه الذي أراده لأن الواقع لم يوفر له الفرصة لتحقيق ذلك، وإذا كان الموتى الإراديون يتزايدون في الواقع لأن الحياة أدت أكثر قسوة فينبغي أن يتقاضوا بنحو ملموس حينما يحدو الرخاء أعظم وفرة [2]. فالظروف الاجتماعية المختلفة كالفقر والحرمان هي التي تدفع الأشخاص إلى الانتحار من جهة، ومن جهة أخرى الحالات النفسية للأشخاص من انفصام في الشخصية والقلق الحاد، أي كل الأمراض العصبية التي يتعرض لها الإنسان في الوجود العبثي هذا من جهة ومن جهة أخرى تعرض الأشخاص إلى التهديد من قبل المجتمع العبثي بالموت والشنق بسبب اكتشاف لنظرية علمية أو أي شيء ينفعه و ينفع ذلك المجتمع، وهو مع تعرض له "غاليليو" في نظر "ألبير كامو": «لم أر أحد مات من أجل التفكير في الكينونة فغاليليو الذي عرف أن الحقيقة العلمية ذات الأهمية العظمى تخلى عنها بكل سهولة في اللحظة التي هددت فيها حياته، وبمعزل من المعاني نجد أنه حسنًا فعل فلم تكن تلك الحقيقة لتستحق المشنقة، فكون الأرض تدور حول الشمس أو الشمس تدور حول الأرض هو من الأمور التي تتصف بأعمق الاكتراث، وإنها مسألة لا جدوى فيها أن يقول المرء الحقيقة. ومن الناحية الأخرى فإني أجد الكثرين يموتون لأنهم يقررون أن الحياة لا تستحق أن تعاش أجد آخرين يذهبون ضحية القتل بصورة متناقضة لأنهم يفعلون ذلك بسبب الأفكار أو الأوهام التي تهبهم سبب الموت[3]، فالانتحار الجسدي في نظر كامو ليس هو الحل لمواجهة اللامعقول والوجود العبثي، إنما هو في الحقيقة التعبير عن الفشل والعجز عن مواصلة الحياة والتغلب والسيطرة على الطبيعة.

1- إميل دوركايم، **الانتحار**، ترجمة، حسن عودة، (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية، الطبعة الأولى، 2011)، ص 276.

2- إميل دوركايم، **الانتحار**، ص 303.

3- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص12.

2-الانتحار الفلسفي:

يرى كامو أن السؤال عن معنى الحياة هو سؤال مأساوي وجاد في نفس الوقت. حيث يقول في هذا السياق: «إن الشعور باللاجدوى مع ذلك هو ليس فكرة اللجدوى إنه يضع أسسها وهذا هو كل ما في الأمر، والشعور ليس مقتصرا على تلك الفكرة ما عدا في اللحظة القصيرة التي يصدر فيها كما على الكون، وهذا لأن الشعور باللاجدوى فرصة الذهاب إلى ما هو أبعد إنه حي بعبارة أخرى يجب أن يموت أو يتكرر، كذلك هو الأمر مع الأفكار التي جمعناها معا، ولكن هنا أيضا أجد أن ما يهمني لا يتمثل في أعمال أفضل الأذهان تلك الأعمال التي يؤدي نقدها إلى مكان آخر وشكل آخر، وإنما في اكتشاف ما يربط بين استنتاجات تلك الأذهان».[1]

الانتحار الفلسفي هنا هو محاولة الفكر إنكار نفسه أي تجاوز ذاته والابتعاد عن الفلاسفة بفكرهم وعدم معايشة الوجود اللامعقول، أو النفي لفكرهم من هذا الواقع اللامنطقي أي قتل الأمل وحب الاطلاع على معرفة جديدة.

ليس الانتحار الفلسفي مثل الانتحار الجسدي، هذا الأخير كما رأينا سابقا يصبح لا يملك الوعي والقدرة الكافية على معالجة المسائل المستعصبة عليه، أما الانتحار الفلسفي والذي نجده في الفلسفة الوجودية فهو الإبقاء على الوعي، ولكن هذا الأخير ليس له الأمل أي هو الوعي بدون أمل، ومنه فقدان الأمل في إيجاد حل ما لمواجهة العبث واللامعقول هو في الحقيقة ذريعة لإثبات الفشل، لأن الأمل هو الوسيلة التي بها طموحاتنا وأحلامنا وإلا فالعقل والوعي وحده لا يستطيعان فعل شيء، وهذا ما حدث مع الفلاسفة الوجوديين كما يقول "كامو"، فهم أنكرو قيمة الفكر والعقل وقتلوا الآمل في مواجهتهم لوجود العيش، حيث يضيف: «ولكي أحصر نفسي بالفلسفات الوجودية، فإنني أجد أنهم كلهم بدون استثناء قد اقترحوا خلاصا فبالتعليل الغريب مبتدئين باللاجدوى على خرائب العقل، وفي كون مغلق محصور بما هو بشري نجدهم يؤهلون ما يحتاجونه ويجدون سببا للأمل فيما يفقرهم[2]، فهو لا يهاجم هؤلاء الفلاسفة، لأنهم نفوا قيمة العقل وإنما يدعوهم إلى ضرورة التفتح والتفطن لمعالجة المسائل التي عذبت الإنسانية منذ الأزل. هذا أن الهروب من اللامعقول بالانتحار الفلسفي أي بالانتحار

1- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص37.

2- ألبير كامو، المصدر نفسه، ص41.

الفكري بالرغم من وعي العبث هو جنون ودعوة إلى الكسل والخمول وقتل روح الإبداع والمثابرة فقتل الفكر معناه قتل الإنسان.

ومنه نلاحظ مع "كامو" أن الفلاسفة الوجوديين أمثال "كارل ياسيرز" و"كير كغارد" لم يصلوا إلى تحقيق شيء جديد، في مواجهة هذا الوجود اللامعقول-إنّهم فشلوا في سبر غور التجربة، ولم تكن لهم الفرصة في تحقيق شيء مرضى للبشرية ولا لأنفسهم، وهو ما دفع بهم إلى الهروب من هذا الواقع إلى واقع آخر بالقضاء على العقل والفكر وذلك بانعدام اللاجدوى من الأمل. هذا ما دفع "بكامو" إلى القول بضرورة مواجهة الانتحار وعدم الاستسلام له مثلما فعل الوجوديون، وهذا التحدي للانتحار يكون عندما يتساءل الإنسان عما إذا كانت الحياة تستحق أن تعاش أم لا؟ فبهذا السؤال يرفض في نظره الموت ويحاول المحافظة على الحياة والبقاء.

إن الانتحار إذن سواء أكان جسديًا أم فلسفيًا، مخرج فاسد من أزمة المحال، لأنه باستثناء أحوال نادرة لا يصدر عن رفض أو تمرد، إن المنتحر يترك هذا العالم معزيًا نفسه بأنه سيعثر وراءه على قيمة أو معنى لم يجدهما فيه، ومعنى هذا إن جاز لنا في هذا المقام أن نستخدم تصورًا من تصورات علم النفس، أن المنتحر يقدم على الانتحار مدفوعًا بخيبة الأمل، ولكن الإنسان اللامجدي إنسان لا تخيب أماله أبدًا، لأنّه لا يعرف الأمل أصلاً، وإذا كان علينا أن نبحث عن حافز يدفعه إلى سلوكه هذا، فهو لا شك التحدي والعناد، في هذا الانتحار إذن نفي المحال، وفي الخروج عن العالم نفي لهذا العالم الذي لا نملك سواه، وقد تعلمنا أن وفاء الإنسان لقدره بل عزته وشرفه الميتافيزيقي يحتمان عليه أن يؤكد ذاته في مواجهة المحال ويجعلان واجبه في احتمال محالية العالم والإصرار على رفضها في آن واحد[1]. إذن الانتحار هو الهروب من التساؤل حول ما إن كانت الحياة حقا تستحق أن تعاش أم لا؟

ومنه يرى "كامو" أن الانتحار الفلسفي والجسدي ليسا السبيل للخروج من اللامعقول إنّما باللجوء إلى التحدي والإصرار على العبث رغم لا منطقية العالم والوجود. فمع الانتحار الفلسفي يختفي موضوع هذه التجربة الرئيسي وهو المحال ومع الانتحار بالجسد يختفي الوعي الذي لا تكون تجربة بدونه. باختفاء الوجود نفسه في الانتحار الفلسفي يبقى الوعي موجودًا، لكن الأمل يسقط فجأة على الأسوار التي اصطدم بها الوعي فتبدو شفافة، هنالك يصبح اللامعقول شيئًا

1- عبد الغفار مكاوي، **ألبير كامو، محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، ص ص(58،59).

يمكن تمثله أو التجاوز عنه، وبذلك يختفي هو نفسه، فإذا سلب الوعي موضوعه تفكك وذاب وارتد إلى الحالة اللاواعية التي تسود حياة كل يوم، أو التمس الراحة في المتعالي أيا كان شكله وطبيعته، في كلا الحالتين يتخلى الإنسان عن الحقيقة الوحيدة الواضحة البينة التي يملكها ويخون أشد العذابات التي تمزق القلب، ونعني به المحال.

إن الانتحار الفلسفي يسوقنا إلى الليل الذي يسوقنا إليه الانتحار الجسدي[1]. فإذا كان الانتحار الجسدي والانتحار الفلسفي ليس حلين للخروج من دائرة اللامعقول أو المحال، فما هو المخرج؟ وبعبارة أخرى لماذا لم يكن الانتحار الجسدي والفلسفي في نظر كامو حلاً للقضاء على العبثية في هذا الوجود؟ هل هناك عائق آخر أعاق تحقيق الإرادة والأمل والشجاعة في مواجهة اللامعقول؟

المبحث الثالث: أسباب العجز وعوامل الفشل

1- العوامل النفسية والاجتماعية:

إن عدم وصول الإنسان إلى مخرج للقضاء والتخلص من اللامعقول والعبثية في الوجود العبثي إنما يرجع إلى عدة أسباب وعوامل:

الشعور بالعبودية والاستغلال وغياب روح الإبداع والمبادرة لدى الإنسان في ظل المجتمع الذي يعيش فيه، وهذه العبودية تتمثل في عدم شعوره بالحرية في اختياراته الإرادية وهذا ما نلاحظه لدى الإنسان في ظل المجتمع الصناعي المتقدم في كل المجالات، حيث أنه لا يملك حرية الاختيار أو الإبداع في عمله، فهو موجه للقيام بما يفرض عليه رئيسه في العمل، وعليه فالحرية التي تنادي بها المنظمات العالمية والدولية هي مجرد شعارات وحبر على ورق، إنها قائمة على مجموعة من القيود والقوانين، فالرقابة الاجتماعية الضمنية توجه الفرد نحو غايات محددة، ولا يمتلك حرية في استبدالها وإذا كان له أن يختار فحريته تتمثل في الاختيار من تشكيلة ممحصة ومقررة ومفروغ منها، وسيكون اختياره في التحليل الأخير نوعا من الخضوع والعبودية. [2]

1- عبد الغفار مكاوي، **ألبير كامو، محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، ص ص (57،58).

2- عبد الله إبراهيم، **المطابقة والاختلاف**، المركزية الغربية-إشكالية التكون والتمركز حول الذات، (بيروت: المركز الثقافي العربي ط1 1997)، ص 348.

إن حرية الاختيار التي ينادي بها المجتمع الصناعي هي حرية وهمية وعبودية تجعل الإنسان يمارس أعماله ومهامهم بدون وعي ولا إرادة، وهذا سبب من أسباب الفشل والعجز للخروج من الوجود العبثي الذي فرضته قوانين وقواعد لا تسمح للإنسان بالخوض في أعماله دون عوائق. إن الحرية المنظمة من قبل مجتمع اضطهادي، يمكن أن تصبح أداة سيطرة قوية فالحرية الإنسانية لا تقاس تبعا للاختيار المتاح للفرد، وإنما العامل الحاسم الوحيد في تحديدها هو ما يستطيع الفرد اختياره وما يختاره [1]. ومنه فكل الاختيارات التي يختارها الإنسان ليست نابعة من إرادة حرة وواعية إنما فرضت عليه فهو ملزم بالقيام بها دون تردد أي أنه يختار ضمن ما هو متاح له وهذا ما يبرر أن الحرية الإنسانية ماهي سوى عبودية بطريقة غير مباشرة، فقدرة المرء على اختيار سادته بحرية لا تلغي لا السادة ولا العبيد. والاختيار بحرية بين تشكيلة كبيرة من البضائع والخدمات لا يعني أن المرء الذي يختار هو كائن حر مادامت الرقابة الاجتماعية تثقل بوطأتها على حياته الكادحة القلقة، ومادام هو نفسه متسلبا [2]، وأعنى بذلك الإنسان في ظل المجتمع الصناعي، السياسي، الاجتماعي لا يملك حرية الاختيار، ومنه فإن انعدام الحرية في حياة المرء تجعله يعيش في الوجود اللامعقول دون أهداف وغايات، وهو لا يستطيع تحقيق سعادته في هذا الوجود العبثي أو حتى مواجهته.

يقول كامو: «أستطيع أن أنفي كل شيء في هذا القسم من أقسامي، الذي يعيش على حنين غامض، ماعدا هذه الرغبة في الوحدة، هذا الشوق إلى الحل، تلك الحاجة إلى الوضوح والتماسك، أستطيع أن أثبت بطلان كل شيء يحيط بي في هذا العالم، مما يسيء إلى أو يسعدني، ماعدا هذه الفوضى، هذه الفرصة السائدة، والتساوي المقدس المنبثق من الفوضى ولست أعرف هل أن لهذا العالم معنى هو أبعد من العالم، ولكني أعرف أنني لا أعرف ذلك المعنى وأنه من المستحيل عليّ الآن أن أعرفه، فماذا يمكن أن يعني بالنسبة لي المعنى الذي يكمن خارج وضعيتي؟ أستطيع أن أفهم بمقياس ما هو بشري فقط–فما ألمسه–ما يقاومني– هذا هو ما أفهمه وهذان اليقينان، شهواتي إلى المطلق والوحدة، واستحالة تقليص هذا العالم إلى مبدأ معقول ومقبول، أعرف جيّدًا أنني لا أستطيع التوفيق بينهما–فأية حقيقة أخرى أستطيع

1– هيربرت ماركوز، **الإنسان ذو البعد الواحد**، ترجمة جورج طراشبي، (بيروت: دار الأدب، ط3، 1988)، ص43.

2– هيربرت ماركوز، المرجع نفسه، ص ص (44–43).

أن أقر بدون أن أكذب، بدون أن آتي بأمل ليس عندي شيء منه ولا يعني شيئًا ضمن حدود وضعيتي؟» [1].

لا يستطيع الإنسان مواجهة الوجود العبثي لأنه مليء بالفوضى واللامبالاة، كما لا يستطيع أن يختار غاياته وطموحاته في ظل هذا الوجود، لأن الحرية تعني حرية الإرادة وهذا أمر واضح في الكلمة ذاتها. إلا أن هذه الإرادة لا تستطيع أن تعمل إلى حين يكون هنالك دافع، والذي إذا انعدم لم يكن الدافع ينشأ عن الاعتقاد، فإنك لن تفعل شيئًا، مالم تعتقد بانه ممكن وذو معنى، ويجب أن يكون هذا الاعتقاد اعتقادًا في وجود شيء، أي أنه الاعتقاد بما هو حقيقي، وعليه فإن الحرية تعتمد على الحقيقي، لأن ممارسة هذه الحرية مستحيلة في عالم لا حقيقي كاستحالة القفز حين يكون المرء في حالة السقوط إلى أسفل [2]. إن حرية الإنسان التي غابت عنها الإرادة والوعي والمواجهة ليست حرية مطلقة قادرة على مساعدته للخروج من أزمة الوجود العبثي، بل هي حرية مقيدة زادت من تعقيد الأمور.

الشعور بالوحدة والضياع والاغتراب في ظل الوجود العبثي وهذا سبب من أسباب الفشل في مواجهة اللامعقول، فالإنسان في الوجود العبثي يشعر بالوحدة والاغتراب عن عالمه ولا يستطيع أن يتعايش مع هذا الواقع المليء بالفوضى واللامبالاة، ولهذا فهو مغترب عنه ومنعزل عن أحداثه وكل ما يحدث فيه، وقد ربط الشعور بالاغتراب بالتطور التكنولوجي السريع للحضارة المعاصرة وأن هذه السرعة في التطور أعجزت الإنسان عن اللحاق بها فتقهقر أمام ما تطرحه التقنية الحديثة من أمور لا يفهمها ولا يتمكن من اتخاذ أي موقف تجاهها. [3]

إن الاغتراب أنتجه التطور التكنولوجي في كل المجالات، فالإنسان العصري مغترب حتى عن عمله سواء كان عاملا، موظفا، أو مديرًا، إذ أصبح العامل ذرة اقتصادية ترقص على أنغام الإرادة المؤتمتة، ولا دور له في تخطيط عملية العمل، ولا في ناتجه، فهو نادرًا ما يتوصل مع المنتج الكامل، والمدير الذي يكون من جهة أخرى على تواصل مع كامل المنتج هو مع ذلك مغترب عنه كشيء باعتباره عنصرًا مفيدًا فقط هدفه التوظيف المربح لرأس المال المستثمر من قبل الآخرين، والسلعة بالنسبة له هي تجسيد لرأس المال ولا تعنيه ككيان... لقد

1- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص60.

2- كولن ولسن، **اللامنتمي**، ص41.

3- عبد الله الخطيب، **الحضارة والاغتراب**، البنوغ للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: ط1، 1988)، ص21.

أصبح المدير بيروقراطيا يتعامل مع الأشياء والأرقام، والبشر كمواضيع لنشاطه ويسمي معالجته لها اهتماما بالعلاقات الإنسانية، في حين أنه يتعامل مع معظم العلاقات الأكثر لا إنسانية بين الآلات الذاتية التي أصبحت تحريرات [1]. ومنه فالإنسان في الوجود العبثي لا يستطيع أن يفرض ذاته لأنه شعر بالاغتراب عن المجتمع والعالم بأسره. وهذا الاغتراب أنتج له قلقًا واكتئابا وخوفا من العالم.

فالغريب هو من يجتنب المجتمع وما شيع فيه من معتقدات، وينفصل عن عامة الناس باعتبارهم أنهم من عوامل ضياع ذاته الأصلية [2]. معناه أن المجتمع هو من كان سبب اغتراب الأفراد وانعزالهم عنه بسبب المعتقدات والتقاليد والقيم الأخلاقية التي لا تتناسب مع تفكيره ومع التطور العلمي الذي توصل إليه.

وسبب الاغتراب بالدرجة الأولى هو الواقع السياسي والتشتت الأسري في فقدان القيم الاجتماعية الأمر الذي يؤدي إلى اغتراب الشخصية عن محيطها، وشعورها بالضياع ومن ثم قبولها بما لم تكن تقبله في أحوالها غير تلك التي تعيشها الشخصية في الواقع [3]. فالإنسان في الوجود العبثي لا يستطيع التحرر من هذا الواقع المتشتت والمندثر والذي لا يعي كيف يتصرف معه خاصة وانه أصبح غريب بالنسبة للأشياء التي صنعها والتي استعبدته وقيدت حرية الإبداع والتفكير، فهذه الأشياء والأجهزة تبقي دائما غريبة. ومن جهة أخري، فان تعقيد هذه الأشياء والأجهزة تجعل المرء عاجزا عن فهم كيفية اشتغالها وسيرها إذ لم تعد ثقافته ومعلوماته مؤهلة لتحقيق هذا الغرض، وهو الأمر الذي يجعله يشعر بالاغتراب أمام هذه الأشياء، بل ويشعر أيضا وكأنها اذكى منه أحيانا أو يشعر أنه أمي أحيانا أخرى وهذا ما يحدث مثلا في تعاملنا مع الأجهزة الالكترونية المعقدة كالحاسوب والهاتف النقال والسيارة [4]. فالإنسان يشعر بالاغتراب في تعامله مع الأشياء التي يستعملها في أغراضه اليومية والتي تجعله يشعر باللامبالاة والعبث ويفقد السيطرة عليها والتحكم فيها بسبب تعقيدها، وهذا ما جعله

1- إيريك فروم، **كينونة الإنسان**، ص 38.

2- رجب محمد، **الاغتراب سيرة ومصطلح**، (القاهرة: دار المعرف، ط1، 1993)، ص44.

3- مريم حير فريحات، **الحس الاغترابي في أعمال روائية في مجلة جامعة**، (دمشق: العدد الثالث والرابع، المجلد الأول، 2010) ص305.

4- كمال بومنير، هارتموت روزا، **التسارع والاغتراب–نحو نظرية نقدية جديدة للحداثة المتأخرة**، (في مجلة دراسات فلسفية، العدد 10 2014)، ص18.

يحس أنه غريب عنها، وهذا الاغتراب يجعله لا يستطيع التعامل والتواصل مع بني بيئته. ومنه فالانفصال عن الذات والواقع وشعور الإنسان باختلافه عن الآخرين وافتقاده لقدرة اكتشاف القيمة في الحياة، كل ذلك قد يخلق حالة من الاغتراب الذات عن الخارج وهذا اللون من الاغتراب ليس إلا درجة متأخرة في سلم الحالات الاغترابية التي قد تصيب الإنسان [1]. ومنه إذا شعر الإنسان بهذا النوع من الاغتراب، فانه يعجز عن مواجهة سلبيات الحياة وإيجاد الحل لها، ولهذا فهو سجين في اللامعقول لا مخرج له.

إن هذا الإنسان المغترب المعزول خائف، ليس لأن العزلة والاغتراب بحد ذاتهما ينتجان القلق، بل هو خائف أيضا لسبب آخر أكثر تحديدًا، فالنظام الاقتصادي البيروقراطي، خصوصًا كما تطور في الشركات الكبرى، ينتج القلق في المقام الأول بسبب التناقض بين كبر الكيان الاجتماعي الشركة، حكومة، خدمات. وصغر الفرد علاوة على ذلك بسبب انعدام الأمن بشكل عام، والذي ينتجه هذا النظام لدى كل أفراده تقريبًا. [2] كما ساهم الشعور بالاغتراب بضياع الإنسان وتفكك علاقاته الاجتماعية مع مجتمعه، وهذا ما يؤذي به في بعض الأحيان إلى الانتحار والموت للتخلص من القلق والخوف من هذا العالم الذي يزخر بالمعاناة والمأساة.

يقول سارتر: «والسقوط قرار من القلق، لأن القلق يتهدد وجودنا بأسره، ويعزلنا أمام أنفسنا، بحيث نشعر بهذه العزلة شعورا حادا يختفي معه كل من يمكن أن يعتمد عليه الإنسان في وجوده، وتجثم عليه الوحدة ويحس بالغربة إحساسا عميقا، وينتابه شعور بعد الاستقرار فيجد نفسه مرغما على اختيار ذاته، وأن الوقت قد حان لتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه أن السقوط يتضمن اختيارنا لذاتنا، والسقوط يصاحبه القلق»[3].

فالقلق يعتبر عائق لمواجهة اللامعقول لأنه يجعل الإنسان في حالة عدم الارتياح في أداء أعماله بكل حرية، وهذا بسبب تعرضه للعنف والاحتقار من طرف المجتمع الذي لم يوفر له الحنان والحب والرعاية النفسية وهذا ما جعل شخصيته ضعيفة وغير سوية، فتعرض شخص ما للتعذيب أو الاغتصاب قد تنجر عنهما في كثير من الأحيان ما يسمي بالموت النفسي للفرد، ففي مجال البحث المتعلق بالاستعباد، التي يحرم فيها الأفراد من حقوقهم ويتعرضون

1- مريم حير فريحات، **الحس الاغترابي في أعمال روائية**، ص 306.

2- إيريك فروم، **كينونة الإنسان**، ص 39.

3- جون بول سارتر، **الوجودية مذهب نساني**، ص35.

للتهميش الاجتماعي أو فيها يخص تجربة الاحتقار التي تتم من خلال الاستخفاف الثقافي لنمط حياة جماعة ما...إن تجربة الاحتقار، الإذلال والإهانة الاجتماعية تهدد من دون شك البشر فيما يخص هويتهم، بمثل ما تهدد الأمراض وجودهم المادي [1]، فتعرض الإنسان للعنف والاحتقار بمختلف أشكاله جعلته يعيش مغتربا ومنعزلا عن عالمه لأنه لا يستطيع الاندماج فيه ومواجهة عبثيته، نظرا لأن نفسيته تصبح غير قادرة على العيش في اللامبالاة واللامعقول.

2- العوامل الاقتصادية والسياسية والثقافية:

لقد ساهمت العوامل الاقتصادية والسياسية في تعطيل وتعجيز الإنسان للخروج من اللامبالاة واللامعقول الموجود في الوجود العبثي بسبب الظروف التي أوجدتها هذه العوامل نذكر على سبيل المثال:

انتشار أنظمة الحكم المستبدة، والتي لا تحكم بالعدل والمساواة والديمقراطية في المجتمع فالقوي يأكل الضعيف، وهذا ما جعل الإنسانية تعيش تحت سيطرة الأنظمة الانتهازية والبيروقراطية، ولهذا سيظل البشر دائما عبيدا خاضعين دون كبرياء أو ذكاء للمذاهب والنظم والآلهة والطغاة، وسيظلون دائما يبكون ويسقطون ويكذبون، كما سوف يظلون محكومين بقانون الجوع والجنس، مثلما ستظل الأرض خاضعة لنفسها وللظروف الطبيعية التي تحكمها.[2]

معناه أن الإنسان في ظل الأنظمة السياسية المستبدة لا يستطيع أن يفرض نفسه ويتخلص من اللامعقولية ومادام ميسرًا غير مخير، فهو مجبر على احترام مبادئ هذه الأنظمة حتى ولو أنها لا تحكم بالعدل والمساواة، وهذا ما خلق العنف بأشكاله والعبودية والاستغلال وانهيار القيم الإنسانية. فهذه اللامعقولية المتطرفة التي تصاحبها النزعة العدمية تشترك أثرها على المجالين الاجتماعي والسياسي، وتدخل فيهما التناقض والتضاد الذي لا سبيل إلى رفعه أو التغلب عليه، اللهم إلا بالفناء التام والخراب الشامل، أي قوى الدم والغريزة تصبح هي القيم الوحيدة الصالحة. وتأكيد الفعل بكل ثمن يصبح هو المبدأ الذي لا مبدأ سواه. ولقد أسس "هتلر" و "موسوليني" دولتهما على المبدأ القائل إنه ليس من شيء من معنى وان التاريخ ليس إلا صدفة عارضة ولدتها القوة والسيطرة. وإذا الطاقة المحضة والحركة الخالصة هما التبرير الوحيد

1- كمال بومنير، اكسل هونيث، **فيلسوف الاعتراف**، (بيروت: منتدى المعارف، ط1، 2015)، ص68.

2- عبد الله القصيمي، **المقولات الوجودية**: متاح على WWW.alhewar.org

لكل شيء، وإذا بهذه الطاقة المحضة لا تجد متنفسا إلا في الغزو المتصل. ويتجه الغزو إلى الداخل فيصبح دعاية لا تهدا، عني استعبادًا للعقل واضطهادا للخروج، فإذا اتجه إلى الخارج لم يعد له عدوا، ووجد المبرر الذي يدعوه إلى تعبئة الجيوش وإصدار الأوامر بالزحف، وتتضخم العلاقة الفردية القديمة بين السيد والعبد فيسيطر سيد واحد على ملايين من العبيد. [1] فمعظم الأنظمة الموجودة في تاريخ الإنسانية تقريبا لم تمكن البشرية من تحقيق السعادة والأمن والاستقرار، إنما عملت على تدمير القيم الإنسانية ومبادئ العدالة والمساواة، فجنون مجمل الأنظمة يبرر غباء الأجزاء، ويجعل من الجرائم المقترفة بحق الإنسانية مشروعا عقلانيا، وإذا كان الناس المشروطون. والمكيفون ببراعة ومهارة من قبل السلطات العامة والخاصة مستعدين لأن يحيوا حياة هم فيها دوما في حالة استنفار وتعبئة شاملين، فلا يحق لنا الاعتراف بأنهم يملكون سلوكا عقلانيا في حضرة العدو وبأنهم يقدرون به ما يفتحه لهم من إمكانات استخدام وتوظيف في الصناعة وفي أوقات الفراغ ،ولا تفقد هذا الطابع العقلاني حتى الحسابات الأكثر جورا وبغيا من قبيل ذلك الاعتقاد بأنه من الأفضل أن يبد خمسة ملايين إنسان على أن يبدى عشرة ملايين أو عشرون مليونا، وهكذا دواليك، ومن العبث اللامجدي في هذه الحالة الاعتراض على إن الحضارة التي تبرر دفاعها يمثل هذه الحسابات توقع بنفسها قرار موتها.[2] فالإنسان الذي يعيش في ظل القمع والاضطهاد السياسي لا يستطيع أن يحرر نفسه من لامعقولية هذه الأنظمة السياسية المتناحرة التي تعمل على تحقيق مصالحها المختلفة ولو بقتل الأبرياء.

هذه الأوضاع في الحقيقة فرضها الجهل واللاوعي السائدان في المجتمع المتطور والمتخلف على حد سواء واللذان ازدهرا إلى درجة انتشار كل أنواع النزعات، فلا التسلح ولا صناعة القرن العشرين يسمحان للأوطان بضمان أمنها وحياتها إلا عن طريق مجموعة منظمة ذات وزن عالمي علي الصعيدين العسكريين والاقتصادي، ولكن المعتقدات الجماعية لا تمثل التغيرات الواقعية، والدول الكبرى تشكل إمبراطوريتها وترميم هندستها من غير أن تقبل التغيرات

1- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامي، **محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، ص ص (129-128).

2- هيربرت ماركوز، **الإنسان ذو البعد الواحد**، ص87.

التي يجب أن تطرأ على النظام الاقتصادي والسياسي والتي يجب أن تعطي كلا التحالفين فعالية ومعنى، فالجماهير الكادحة المتألمة، المخدوعة بالأمة والمخدوعة بالطبقة تحترق في كل مكان بنار الصراع الذي ليس فيه من عدو وغير السادة الذين يستغلون بمهارة أضاليل الصناعة والسلطة.[1]

فالأمية والجهل واللاوعي كانا سببًا مباشرًا في جعل البشرية تتخبط في اللامعقول واللامبالاة، ولا تستطيع التخلص منها، لأنه تحكمه قوى سياسية لها نفوذ في كل المجالات فهو لا يملك القدرة على التحرر منه لأنه أصبح عبدا لها.

من أسباب العجز أيضا احتقار الشديد للعقل، رغم التقدير الشديد للعقل في الثقافات السابقة، وتجد الثقافة الزائفة تبريرها لذلك في تحليلها للفلسفة التي صارت مرادفة للعقل لم تهتم بالمشاكل الحقيقة للبشر وبشكل كافي، بالإضافة إلي تأكيدها علي الجوانب الروحية والنفسية وتصوريها بوصفها مناقضة للعقل، وصار العقل الكمي والإحصائي والأداتي والتماثلي والوضعي هم أشكال العقل المسموح بتواجدها، أما العقل النقدي، والخيالي والعقل الذي في نسيج الوجود الإنساني فهو موضع شك لأنه يتناقض مع اللاعقلاني السائد في المجتمعات المعاصرة [2]. معناه نقص الاهتمام بقدرة العقل على توجيه الإنسان ومساعدته وتوعيته لإعادة بناء حياته من جديد، جعل اللامعقول والعبث يسود الحياة النفسية والاجتماعية والسياسية والثقافية للبشر وجعلهم يعيشون تحت تأثير الاكتئاب والقلق والخوف من المستقبل خاصة بعد انتشار ظاهرة التشيؤ أي الاهتمام بالماديات وإهمال ما للعلاقات الاجتماعية من حب وتسامح وتعاون والأخوة دور في جعل الحياة الإنسانية لها معنى ولها قيمة.

فالعلم أصبح أداة السيطرة وقمع الحريات الفردية بعدما كان أداة التحرر من الجهل والأمية، فهو يعامل على أنه محرر من القيم ومحايد فيها بتعلق بالادعاءات الأيدلوجية لكنه مثل الشكل السلعي والبيروقراطية، يسعي لبسط هيمنته، ومن ثم تنسجم العقلانية العلمية بسهولة مع املاءات الرأسمالية والدولية البيروقراطية، تشكل الرأسمالية والبيروقراطية والعلم وهي جميعها

1- هيربرت ماركيوز، **الإنسان ذو البعد الواحد**، ص ص (99-89).

2- رمضان بسطوسي محمد، **علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت أدورنو نموذجا**، (القاهرة: مطبوعات نصوص 90، ط1، 1993) ص 11.

أشكال للعقلانية الاداتية، الجوهر الحقيقي للتنوير. وهي تحول الطبيعة إلى شيء ينتفع به والتقدم إلى الاغتراب، والحرية إلى سيطرة [1]. ومنه فالعلم وسيلة للسيطرة على حرية الفرد وبالتالي على حرية الجماعات، فهو لا يحرر الإنسان من اللامعقول وإنما يزيد له عبث على عبث، فكل هذه الأسباب جعلت الإنسان يبحث عن البديل للخروج من اللامعقول نهائيَا والبحث عن حياة أفضل يعمها الأمن والعدالة الاجتماعية والمساوة وتجاوز كل العراقيل والصعوبات التي تعيقه والتي تمنعه من ممارسة حريته بإرادته ووعيه.

1- ستيفن برونر، **النظرية النقدية**، ترجمة سارة عادل، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2016)، ص 58.

الفصل الثالث:

في مواجهة اللامعقول

الفصل الثالث: في مواجهة اللامعقول

المبحث الأول: التمرد وأشكاله

1-حقيقة التمرد (مفهومه):

- **تعريف التمرد:**

التمرد من الناحية **اللغوية** هو: مرد، المارد العاتي، مرد على الأمر بالضم، يمرد مردا ومرادة، فهو مارد ومريد وتمرد اقبل وتأويل المرود أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف[1]. التمرد أيضا هو تمرد الغلام: مرد، وتمرد علي الشيء، مرن عليه واعتاده، وتمرد علي القوم: عصى عنيدا مصرا، ويقال تمرد علي الشر: طغى[2].

من الناحية **الاصطلاحية:** التمرد شكل من أشكال المواجهة المسلحة للنظام القائم من قبل بعض العناصر المدنية أو العسكرية أو الاثنين معا وذلك للتأثير على النظام للاستجابة لمصالح معنية لهذه القوي، وقد يكون التمرد طويل المدى مقدمة لثورة قد تطيح بالنظام[3].

حتى يعي الإنسان أن الحياة التي يعيشها لها معنى وهدف، لابد أن يشعر بالقلق على الواقع المؤلم أو المضطهد والمستبد الذي هو باعتباره واقعًا غير معقول غير منظم وغير متوازن، ذلك لأن القلق هو السبيل للجوء إلى التغير والتجديد، ومعنى ذلك أن الإنسان إذا شعر بأن الوجود الذي يعيش فيه وجود عبثي، نجده يعيش في حالة من الذعر والتوتر حتى يجد الحل الأنسب لتغيير وفي هذا الصدد يقول سارتر: «ليس الغثيان سوى هذا الشعور بالاختناق الذي يسببه ذلك الكشف للوجود، كأنّه شيء يأخذك من كل جوانبك بغتة، شيء يتوقف من أجلك، ويثقل على قلبك، كأنه حيوان ضخم لا يتحرك، ومع ذلك ينبغي أن يكون ثمة صدع في الوجود ما دمت أستطيع أن أخرج-عن طريق الغش من ذلك التكتل المظلم وأنجح في أن أكون شيئًا آخر غير ما أنا عليه. إن القلق يشفي لذاتي باعتباري شعورًا، وبهذا يقنعني بأنّه ثمة لعبأ في الوجود، وأن العدم يطارد كينونة الوجود»[4]. فالقلق هو الذي يجعل الإنسان يبحث عن مخرج من اللامعقول وهذا بعد وعيه بعجزه على الاستمرار فيه فكل شيء

1- محمد بن مكروم بن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط1، ج1)، ص400.

2- إبراهيم مصطفي واحمد الزيات وآخرون، **المعجم الوسيط**، ص191.

3- ادم قبى، **رؤية حول العنف السياسي**، مجلة الباحث، (عدد1، 2012)، ص106.

4- جون بول سارتر، **الغثيان**، ترجمة د. سهيل إدريس، (دون مكان: دون دار النشر، دون الطبعة)، ص236.

يبدأ بالوعي، وما من شيء له قيمة إلا من خلاله، وفي وسع الإنسان أن يعلو فوق العالم عن طريقه، ولكننا نخطئ التصور كما نخطئ التقدير، ذلك أن الوعي لا يقف بمفرده، فلا هو الوعي الخالص الذي يتحدث عنه "كانط"، ولا هو الوعي المطلق الذي تعتبر المثالية الألمانية أنه غير موجود حقًا ولا شيء سواه، ولا يمكن أن تنسب إليه حقيقة ميتافيزيقية من أية نوع، فليس الوعي غير الاتصال بالعالم وبالجسد. [1] ومعنى هذا أن الإنسان يعيش حالة التوتر والقلق بسبب الواقع الذي يعيش فيه مليء بالعذاب والمعاناة، واللامبالاة والوعي بذلك شرط لمواجهة اللامعقول.

إن الحياة عذاب وتمزق، ولكي يتاح للمحال أن يحيا، دون الرضا به أو الموافقة عليه ينبغي أن يبقى الوعي حيًا، ورفض الانتحار رفضًا حاسمًا، وكأن الموقف الوحيد الممكن إزاءه هو مواجهته مواجهة تنبض بالتوتر وتفيض بالقلق والتمزق[2].الوعي إذن مهم لكي يستطيع الإنسان فهم اللامعقول وهو الذي يحرره من اللامعنى والعبث، من خلال رفضه لكل ما هو مناف للعقل، وهو الذي يدفعه إلى التمرد ويجعله يقف أمام العالم وجها لوجه، باعتباره اكتشف محالية الحياة، عندما رفض الانتحار، هذا الأخير في الحقيقة لا يضيف للحياة إلا تعقيدا ومعاناة، وهو الذي يفقده الوعي الذي هو بمثابة النور الذي يقتدي به لمواصلة الرفض لكل أشكال العبث ومظاهره، فحركة التمرد تستند إذن، في نفس الوقت إلى رفض قاطع لتعدى لا يطاق، وإلى يقين مبهم بوجود حق صالح، وبصورة أصح إلى اعتقاد المتمرد أنّ له الحق... فلابد للتمرد من أن يكون مقترنا بشعور المرء بأنّه على حق، بصورة ما، وفي مجال ما وبهذا المعنى يقول العبد المتمرد "نعم" و "لا" في نفس الوقت، إنه يؤكد وجود الحد ويؤكد في الوقت نفسه كل ما يتصوره ويريد أن يصونه فيما وراء الحد، ويبين بعناد أن ذاته شيئًا ما يتطلب أن يؤخذ بعين الاعتبار»[3].

التمرد هو الوسيلة التي يلجأ إليها الإنسان لرفض الواقع اللامعقول الذي اكتشفه بوعيه ورفض الاستسلام له بالانتحار، وعندما قرر أن يواجهه، هذا التمرد في الحقيقة هو تمرد على عبثية الحياة التي لا طائل من وجودها وقدر لا سبيل لفهمه، وبذلك فإن" كامو" يحاول أن يظهر الوجه الفائق لإنسانية الإنسان الذي يصوره العمل والمجازفة بأسلوبه الخاص عن

1- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، ص ص (90،91).

2- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، المرجع نفسه، ص 91.

3- ألبير كامي، **الإنسان المتمرد**، ص 18.

الوجه الأساسي للحياة، ذلك الوجه الذي يكشف عنه من ناحيته في الدعوة إلى الحرية والانعتاق والنضال [1].

الانتحار هو التمرد والرفض باعتبار أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في تناقض مع العالم ومع نفسه، ولهذا فهو يعد المطالبة بنوع من الشفافية، كما يعني وضع العالم موضع السؤال في كل لحظة من لحظاته، ولما كان التمرد هو مواجهة اللامعقول فإن فالوعي منصب عليه كلية [2].

اللامعقول هو تجربة لابد للإنسان أن يعيشها لأنها في الحقيقة تعد السبيل الوحيد لرفض كل المعتقدات والطقوس التي تضيع حياة الإنسان وتجعله يدور في حلقة فارغة ضمن الذهنيات والأفكار الساذجة التي احتواها فكره، وتجربة اللامعقول تحرر الوعي من جميع قيوده تنتشله من الانقياد وراء هذه التغيرات، وتمنحه سلاح الشك والحيطة، وهي تجربة لا يمكن تجاوزها ورفعها إلا بواسطة التمرد، غير أن هذا الأخير يبدو وكأنه نوع من الكبرياء الذي ما بعده كبرياء. فتكون في مواجهة اللامعقول مواجهة لا تعرف الهدنة، وكأن الإنسان قمين بأن يتغلب على اللامعقول بسهولة ويسر كبيرين [3].

إن التمرد هو وسيلة للتحرر من كل القيود والعادات والتقاليد البالية التي تسيطر على عقل الإنسان وتقيده، ومنه فهو الذي يجعل الإنسان يسترجع احترامه وكرامته يقول كامو: «إن حركة التمرد ليست في جوهرها حركة أنانية قد يكون لديها ولا شك مقاصد إلى ذلك، إن المتمرد اعتبارًا من هذه المقاصد وفي توثبه الصميمي لا يصون شيئًا، لأنّه يغامر بكل شيء، لا جرم أنه يطالب بالاحترام من أجل ذاته، ولكنه بمقدارٍ ما يتوحد ذاتيًا مع جماعة طبيعية» [4]. فالمتمرد الذي يرفض الحياة التي يعيشها والتي فيها جميع ألوان الاضطهاد يحاول من خلال ذلك أن يجعل لها معنى وغاية وقيمة وأن يحقق ذاته كإنسان، «فالمتمرد إنسان يقول لا ونعم، فإنه لا يتخلى هو أيضا إنسان يقول نعم منذ أول بادرة تصدر عنه، إن العبد الذي ألف تلقي الأوامر طيلة حياته يرى فجأة أن الأمر الجديد الصادر إليه غير مقبول، فما هو فحوى هذه؟ – إنها تعني مثلا (أن الأمور استمرت أكثر مما يجب) وأنها

1– رجر ألبيريس، **الاتجاهات الأدبية الحديثة**–ترجمة: جورج طرابيشي، (دون مكان: منشورات عويدات، 1965)، ص 91.

2– محمد يحياتن، **مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقف من الثورة الجزائرية**، ص 48.

3– محمد يحياتن، المرجع نفسه، ص 49.

4– ألبير كامي، **الإنسان المتمرد**، ص 115.

مقبولة حتى هذا الحد، ومرفوضة فيما بعده، وإنك غاليت في تصرفك، وتعني أيضا أن هناك حدًا يجب أن لا تتخطاه»[1].

معنى ذلك أن الإنسان هو ذلك الشخص الذي يقول "لا" و "نعم"، أي هو ذاك الذي يتلقى الأوامر من سيده ويرفض الامتثال لها، حيث جاء اليوم الذي يتقلب عليه الأمر ويتمرد على طاعته واحترامه، لأنّه ربما أدرك أن حريته قد سلبت منه وأنه لا يستطيع أن يفعل ما يشاء، وعليه فإنه يلجأ إلى محاولة وضع حد لهذه الحياة اللامعقولة بالتمرد والثورة، أي برفضها واللجوء إلى حياة أفضل يحقق فيها عزة النفس والكرامة. «فالمتمرد يريد أن يكون كل شيء، يريد أن يتوحد توحدًا ذاتيا كليًا مع هذا الأخير الذي شعر به فجأة، وأن يحيا ويتصرف به في شخصه، إنّه يريد أن يكون هذا الكل، وأن يكون لا شيء: أي أن ترجمة القوة المتحكمة به حرمانا نهائيا، وهو في النهاية يرضى بالحرمان والسقوط الأخير، ونعني الموت، إذا كان لابد من حرمانه من هذا التكريس الخاص الذي يسميه مثلا حريته، إنّه يؤثر أن يموت عزيزًا رافع الرأس على أن يعيش عيشة الهوان»[2]. والمقصود أن الشخص الذي لا يستطيع أن يعيش حياته في العزة والكرامة ولا يستطيع أن يرفضها، عليه أن يموت خيرًا من أن يعيش في المذلة والاحتقار، فالمتمرد عندما يقول "لا"، هو أيضا يقول "نعم"، لأن رفضه يشدد على وجود خط حدودي يتيح له مساحة من النزاهة الشخصية، فكلمة "لا" هذه بذاتها وفي ذاتها، انتقال من الوقائع إلى الحقوق، ومن ثم يستخدم المتمرد معيارًا للقيمة، ويطرح تلك القيم بالأصالة عن نفسه صراحة، إنه يتصرف باسم قيم بعينها لم تتضح معالمها بعد ولكنه يشعر بأنها مألوفة لديه ولدى كل الناس[3]، وهو عندما يرفض الأوامر التي تفرض عليه، فإنه قد شعر أن هناك قيما إنسانية تجعله لا يكون عبدًا لسيده، وإنّما لابد أن يكون إنسانا له مبادئه وخصوصياته، ومن يعيش بدون تلك المبادئ والقيم يبقى عبدًا لسيده.

إن حركة التمرد تسير به إلى أبعد مما كان عليه في رفضه البحث، بل أنه يتخطى الحد الذي عينه لخصمه، مطالبا بأن يعامل على قدم المساواة مع سيده، والشيء الذي كان في البدء مقاومة عنيدة من الإنسان، جعل الإنسان كله متوحدًا في هذه المقاومة ومحتضرًا فيها، حينئذ يضع هذا القسم من ذاته والذي كان يريد دفع الآخرين على احترامه، يضع هذا

1- ألبير كامي، **الإنسان المتمرد**، ص 18.

2- ألبير كامي، المصدر نفسه، ص 20.

3- ديفيد شيرمان، **ألبير كامي**، ص 193.

القسم فوق كل ما تبقى، ويعلن أنّه يفضله على كل شيء، حتى على حياته، ويصبح هذا الجزء بالنسبة إليه بمثابة الخير الأسمى، لقد كان وضعه من قبل وضع التسوية المجحفة فإذا به يرتمي دفعة واحدة في وضع جديد: (كل شيء أو لا شيء))[1]، فالمتمرد دائما يحاول أن يجد لنفسه حياة أفضل من الحياة التي كان يعيشها، حياة كلها شعور بالتحرر والاستقلالية من القيود التي كانت تستعبده.

إن التمرد ممكن في المجتمعات التي تسود فيها لا مساواة واقعية وراء مساواة نظرية عدا عن ذلك، فإن التمرد يخص إنسانا عارفا ومطلعًا، مدركا لحقوقه وليس جاهلاً، وعليه فلا يمكن للإنسان المتمرد أن يظهر في مجتمعات بدائية حيث نشوء المعتقدات والتقاليد وتغيير نمط الحياة على أسس قدسية وتحريمية، فالتمرد هو إحدى الصفات المبدئية للإنسان، هو واقع تاريخي للإنسانية لا يجوز الهروب منه، بل إيجاد قيم وتجارب تصب في مصلحة الإنسانية، وإحدى قيم التمرد هي أنّه يدعو إلى وجود مجتمع إنساني بعيد عن القدسية، ولكي يحيا الإنسان عليه أن يتمرد ولكن شريطة ألا يتخطى حدود الوجود الحقيقي للبشر [2].

معنى ذلك أن ظهور التمرد في مجتمع من المجتمعات هو دليل على رفض الاستسلام للعيش في أوضاع قذرة، هذا الرفض كان نتيجة وعي وإدراك استحالة العيش في الواقع غير المعقول، ومنه فهو عند "كامو" مرتبط بالوعي الذي يحفز الأشخاص على رفض الحياة البائسة والتعيسة وكل القوانين والقيود والعادات والتقاليد التي تجبرهم على قمع أحلامهم وآمالهم وهذا ما أكده في حوار في مسرحية "**العادلون**":

كاليا بيف: منذ سنة وأنا لا أفكر في شيء آخر، لهذا السبب أتيت إلى هذا المكان وأعلم الآن أنني سوف أهلك إلى جانب القيصر، أهدر دمي إلى آخر قطرة أو أنفجر كليا، ولا أخاف شيئًا ورائي، أتعلمين لماذا رمى القنبلة؟ الموت من أجل الفكرة إنها الطريقة الوحيدة للسمو والتعالي.

دوران: أنا كذلك أريد الموت والخلاص.

كاليا بيف: نعم إنها السعادة عند تشبيهيها وترغيبها، ولكن أعلم في نفس الوقت أنني سأموت.

1- ألبير كامي، **الإنسان المتمرد**، ص 20.

2-هالة رسلان، **ألبير كامو**، متاح على: www.maaber.org/philophy/camus/htm

دوران: حسنا إذن: تقتل وتموت، ولكن هناك في رأي سعادة أكبر من ذلك.

كاليا بيف: لقد فكرت في ذلك، الموت في وقت الاعتداء يترك شيئًا ناقصًا، بين الاعتداء والمشنقة ربما ثم تكمن الأبدية الوحيدة بالنسبة للإنسان» [1]. فالموت والتمرد والانتحار أفضل الطرائق للتخلص من الحياة اللامجدية، وهذا بعد وعيها.

«ثمة وعي–مهما تكن درجة إبهامه–ينشأ عن حركة التمرد: الإدراك فجأة بأن في الإنسان شيئًا يمكن أن يتوحد معه ذاتيًا، ولو لوقت قصير، حتى الآن لم يكن يحس بهذا التوحد إحساسا فعليا. لقد تحمل العبد كل التعسفات السابقة لحركة التمرد، بل كثيرا ما تقبل دون تمرد أوامر أفى من الأمر الذي يثبر الآن رفضه، لقد كان يعود بالصبر، وربما كان يدفن هذه الأوامر المتعسفة في أعماق ذاته، ولكن–نظرًا لصمته–كان مشغولا بمصلحته المباشرة أكثر من أن يكون شاعرًا بحقه بعد، ومع نفاذ الصبر وانعدامه، هذه الوثيقة تكاد تكون دائما ذات مفعول رجعي، فالعبد عندما يرفض الأمر المهين الصادر عن سيده، يرفض في الوقت نفسه حالة العبودية بالذات [2].معناه أن الإنسان يلجأ إلى التمرد على هذه الحياة عندما يصبح في حالة فقدان الصبر على مواصلة العيش في تلك الظروف التي قهرته وجعلته مذلولا أمام الآخرين.

والتمرد لا ينشأ فقط بالضرورة لدى المضطهد، بل قد ينشأ أيضا لدى مشاهدة الاضطهاد الذي يتعرض له شخص آخر، هناك إذن في هذه الحالة، توحد ذاتي مع الشخص الآخر، ويجب أن نبين بأن المسألة ليست مسألة توحد ذاتي نفساني، مسألة وسيلة يحس الفرد بواسطتها في مخيلته أنّ الإهانة موجهة إليه. قد يحدث لنا، بالعكس ألا نتحمل رؤية إهانات تكال للآخرين، مع العلم بأنه سبق لنا تحملها دون أن نتمرد.

إن الانتحارات الاحتجاجية في السجون، وهي الانتحارات التي كان الإرهابيون الروس يلجؤون إليها عندما كان رفاقهم يجلدون بالسياط أكبر دليل على هذه الحركة العظيمة وليست المسألة أيضا مسألة الإحساس بوحدة المصالح، فنحن قد نجد في الحقيقة أن الظلم اللاحق بأناس نعتبرهم من أخصامنا ظلمًا مثيرًا. هناك فقط التوحد الذاتي في المصائر والخراب فالفرد وحده لا يشكل إذن هذه القيمة التي يريد الدفاع عنها، لابد على الأقل لجميع

1 –Albert Camus, **les justes**, (paris : Edition Gallimard, 1950), p p (38,39).

2– ألبير كامي، **الإنسان المتمرد**، ص ص (20،19).

البشر من تشكيلها في التمرد، يجاوز الإنسان ذاته في الآخرين، ومن وجهة النظر هذه يعتبر التضامن البشري تضامنا ماورائيا، بيد أننا لا نقصد في الوقت الحاضر سوى هذا النوع من التضامن الذي ينشأ في حالة الرسوف في الأغلال. [1]

والتمرد ليس فقط على حالة الإنسان المضطهدة والمستعبدة بل أكثر من ذلك هو لأنه تمرد الإنسان على كل أشكال العبودية التي تفرض على جميع الناس، يتجاوز الإطار القومي، إن حركة التمرد تبدأ فردية ثم تصبح جماعية، للقضاء على الظلم والجور.

«التمرد يصدع الكائن ويساعده على مجاوزة ذاته. إنه يحرر أمواجا كانت ساكنة فصارت عاتية... أما في أصل التمرد فثمة مبدأ قدرة وافرة وفعالية زاخرة... في حين أن المتمرد يدافع عن كيانه، إنه لا يطالب فقط بما لا يملك أو بما حرم منه، بل يرمي أيضا إلى دفع الآخرين إلى الاعتراف بشيء ما سبق أن اعترف به مع نفسه، في جميع الحالات تقريبا على أنه أهم من الأشياء التي قد يتمناها»[2]، وبالتالي هذا الشعور تشكل عند الإنسان ليس وليد الصدفة إنما هو نتيجة الوعي والإدراك بأن هذه الحياة غير مجدية وأنّها بلا هدف ولم تساعده على تحقيق أحلامه نتيجة الضغوطات وقمع الآخرين له.

ومن هذا نرى أن الوعي بالمحال كان حاضرًا على الدوام، حتى في تلك اللحظات التي أرادنا أن نقصر أنفسنا فيها على المعطى الخالص، والتجربة المعاشة البحتة، غير أن الوعي به لم يكن ذلك الوعي الحقيقي الذي يعرف نفسه ويدرك وجوده وطاقاته، والأولى أن يقال أنّه كان نوعا من الانتباه الخالص للظواهر السابقة عليه، إنني أتنفس السعادة الوحيدة التي أملك القدرة عليها وعيًا منتبها صديقًا، لذلك لم يكن التمرد الذي كان يكمن في الوعي منذ البداية تمردًا حقيقيا، بل تمردا محالاً [3]، ومنه فالتمرد يكون نتيجة وعي الإنسان بأن هناك أفضل من الحياة التي يعيشها وعليه أن يتمرد حتى يصل إليها ويحقق السعادة القصوى والفضيلة التي تجعله إنسانا.

يقول كامو: «منذ اللحظة التي يتم فيه إدراك اللاجدوى، تصبح الانفعالات شديدة ومزعجة في نفس الوقت سواء كان المرء يستطيع أن يعيش مع انفعالاته أم لا، سواء كان

1- ألبير كامي، **الإنسان المتمرد** ، ص ص (22-23).

2- ألبير كامي، المصدر نفسه، ص23.

3- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، ص 90.

يستطيع أن يتقبل قانونها أم لا، ذلك القانون الذي يحرق القلب الذي تسمو به تلك الانفعالات، الجواب على ذلك هو الجواب على السؤال كله»[1].

معنى ذلك أن الإنسان إذا أدرك اللامعقول واللاجدوى من الوجود فإنه ينفعل ويحاول بواسطة انفعاله هذا أن يجد مخرجا لحياته أي سبب دوامة القلق والتوتر والحيرة من أمره هذا الانفعال يدفع إلى عدم الاستسلام لتلك الظروف، فالوعي الناصع بالمحال هو الذي سيثير التمرد العنيد المتحدي لهذا المحال نفسه، ولولا نصوع الوجدان لغرق الناس في سبات أسود كئيب، على نحو ما جرى لهم في **(رواية الوباء)***، فالنصوع تحرر من حالة فقدان الوعي السلبية وانطلاق كل ما يشمل الوعي ويثقل الوجدان، من عدم المبالاة، من إيقاع الحياة اليومية الرتيب، من الأمل والعزاء، من الاستسلام لقدر محتوم ولكنه ظالم، ... إننا لا نستطيع في الواقع أن نفصل التمرد عن الوعي الناصع، إنّهما معًا يمثلان كلا لا يتجزأ، ففي وسعنا أن نقول إن الوعي الناصع بالمحال يؤدي إلى التمرد، وفي وسعنا كما يقول عبد الغفار المكاوي أن نعتبر التمرد الخطوة الحاسمة على الطريق المؤدي إلى الوعي الناصع،[2] فكلما حضر الوعي في المجتمع كلما أدرك حقيقة الواقع اللامعقول والوجود الذي يعيش فيه يوميًا ولا يستطيع مقاومته إلا بالتمرد عليه، فالوعي يجعل الإنسان يقف أمام العالم وجها لوجه، كأنهما ضدان متقابلان ويصبح الإنسان كائنا من غير هذا العالم، وكونه من غير هذا العالم يعني أنه يعلو عليه، هذا العلو لا سبيل إلى فهمه إلا عن طريق التضامن والديالوج اللذين يقوم التمرد الحق عليهما [3]، وعليه فالوعي يشكل القوة والإرادة والحرية في مواجهة المحال، والإنسان عندما يدرك ويفيق من سباته ويعي أن الحياة مستحيلة، أما هذا العالم المليء بالظلم والاستبداد والعبودية ينفعل ويتوتر في كيفية مواجهتهما–فيجد أن التمرد والعصيان والعناد هي الوسيلة لتحقيق عالم معقول خال من الشوائب والفوضى.

إن التمرد في نظر "كامو" هو الذي يمكن الإنسان من أن يحقق ذاته ويخلق لنفسه القيم والمبادئ التي ضاعت منه من جراء الوجود العبثي، وعليه فهو وسيلة ومن وسائل

1– ألبير كامي، **أسطورة سيزيف**، ص 31.

* **رواية الوباء**، هي رواية كتبها ألبير كامو عام.

2–عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، ص 93.

3– عبد الغفار مكاوي، المرجع نفسه، ص 109.

تحقيق الحرية والذات المتحررة من أشكال السيطرة والعبودية، وهو ما أكده من خلال حواره في مسرحية "العادلون":

أنينكون: الزعيم الأكبر سوف يموت.

كالياييف: أجل سأقتله يا لها من سعادة لو أتمكن من قتله. الدوق الأكبر لا يساوي شيئًا وجب أن نضربه حتى النهاية.

أنينكون: أولا: الدوق الأكبر.

كالياييف: وإذا لم نستطيع فعل ذلك؟ هل ترى يجب أن نقلد اليابانيين في ذلك؟

أنينكون: ماذا تقصد بذلك؟

كالياييف: في الحرب. اليابانيون لم يرجعوا إلى الوراء، لقد انتحروا.

أنينكون: لا. لا تفكر في الانتحار.

كالياييف: في ماذا إذن؟

أنينكون: في التمرد من جديد. [1]

وهنا نلاحظ أن أنينكون يرفض الانتحار، لأن هذا الأخير في الحقيقة لا يحل المشكلة بل يزيدها تعقيدًا، وعليه فمن أجل الاستمرار وتحقيق الذات لابد من التمرد على الطغيان والاستبداد لقمع الواقع العبثي والتخلص من الفوضى واللامبالاة التي جعلت الإنسانية تعيش في التشاؤم والقلق.

2-أشكال التمرد:

التمرد ليس تمردًا فرديًا فقط وإنما قد يكون تمردًا جماعيًا، «فالألم يكون فرديا في التجربة العبثية، ولكن اعتبارا من حركة التمرد يشعر بأنّه ألم جماعي، ويصبح مصيرًا مشتركاً بين الجميع، وإن أول خطوة يخطوها فكر تتملكه الغرابة هي أن يسلم بأنّه يسهم في هذه الصفة مع البشر جميعًا، وإنّ الحقيقة الإنسانية في مجموعها، تعاني من هذا البعد عن الذات والعالم، والداء الذي كان يبتلي إنسانًا واحدًا يصبح وباءً جماعيا، وفي تجربتنا اليومية الخاصة، يقوم التمرد بنفس الدور الذي يقوم به الكوجتو على صعيد الفكر، إنّها البديهية الأولى ولكن هذه الحقيقة البديهية الأولى تنتشل الفرد من عزلته»[2]، إنّها محل مشترك

1- Albert Camus ،**les justes**, p p (30,31).

2- ألبير كامي، **الإنسان المتمرد**، ص29.

يرسي القيمة الأولى على البشر جميعا، أنا أتمرد، إذن نحن موجودون فهنا نلاحظ أن التمرد يكون فرديا ثم يصبح تمردًا جماعيا، خاصة إذا كان المتمرد فرديا قد تمرد على وضع يخص حياة الجميع الظلم واللامساواة في المجتمع، فالجميع هنا يتضامن مع هذا الفرد الذي سار على هذا الواقع من أجل تجديده وتغيره نحو الأحسن، والتمرد بهذا المعنى أشكال هي:

أ- التمرد الميتافيزيقي على مستوى الفرد:

وهو الحركة التي بواسطتها يثور إنسان ما ضد وضعه، وضد الخلق كله، أي العبد يحتج ضد الوضع المخصص له ضمن حالته، أما المتمرد الماورائي فيحتج ضد الوضع المخصص له كإنسان، فالعبد العاصي يؤكد أنّ فيه شيء ما لا يرضي بالطريقة التي يعامله بها سيده، أما المتمرد الماورائي فيعلن بأن الخالق قد حرمه [1]، فالتمرد الميتافيزيقي هو التمرد على الظلم واللاعدالة وبصفة عامة تمرد الإنسان ضد مصيره ومصير الكون ومنه فإذا كان العبد يتمرد على وضعه، فإن المتمرد الميتافيزيقي يتمرد على قدره المحتم عليه كإنسان، ويعلن بأنّه مخدوع ومظلوم من الخالق نفسه، وكما أن العبد الذي تمرد على سيده يعترف بوجود السيد وبسلطانه عليه، كذلك فإن المتمرد الميتافيزيقي يتمرد هو الآخر على قوى تسيطر على مساره وتجدده، وبذلك يؤكد واقعيتها، ومن هذا يمكن لنا أن نصل إلى استنتاج مفاده أن التمرد الميتافيزيقي لا ينطوي على الإلحاد، لأن التمرد لا ينكر القوى الإلهية العظمى بل يتحداها [2]، أي لا يتمرد الشخص فقط على الذي كان سببًا في تعاسته في الوجود العبثي والذي جعله يعيش في اللاعدالة واللامساوة، إنما يتمرد ضد الموت والفناء والحياة وكيف يواجه مصيره ضد المجهول أي ضد الميتافيزيقا، فليس التمرد مجرد احتجاج يقوم به العبد ضد سيده الذي يضطهده، ولا هو مجرد الثورة التي يعلنها إنسان على من ينكر حقه في الحرية، إنّه أعمق من ذلك وأكثر شمولاً. والحق أن هناك إلى جانب تمرد العب على سيده تمردًا آخر يختلف عنه، وينبغي أن نفصل بينهما فصلاً واضحًا وإن كان ذلك لا يمنع من القول بأنهما سيسيران في خطين متوازيين، ذلك هو التمرد الميتافيزيقي، فإذا كان العبد يتمرد على من ينكر عليه قسمة يعرف الآن أنّها مشتركة بينه وبين جميع الناس، فإن الإنسان الميتافيزيقي إنّما يتمرد قبل كل شيء على الموت والفناء

1- ألبير كامي، المصدر نفسه، ص29.

2- هالة رسلان، **ألبير كامو**، متاح على: www.maaber.org/thloply/camus/htm

الذي قدر عليه، بما هو إنسان، على الخليقة كلها وعلى تلك القوة التي يحملها مسؤولية الموت والتعاسة وفضيحة المصير الإنساني الذي كتب عليه أن يلقاه [1].

ومعنى هذا أن الإنسان إذا أدرك في لحظة من لحظات حياته أنه مقهور وتعيس وأن القدر الذي كتب عليه لا يتماشى مع طموحاته ورغباته، فإنه بالضرورة يتمرد ويرفض هذا الواقع اللامعقول الذي لم يستطع فهمه منذ البداية، وهذا ما حدث مع "سيزيف" ذلك البطل الأسطوري الذي تمرد على الآلهة التي حكمت عليه برفع الحجر إلى أعلى الجبل، عندما أفشى أسرار "زيوس"، هذا الأخير أمر أخاه "هيديس" بحبسه في العالم السفلي لكن "سيزيف" بمكره وخبثه انتصر على إله الموت عندما طلب منه أن يجرب السلاسل التي وقعت على يديه إذا كانت في حالة جيّدة أم لا، ولما فعل إله الموت ذلك انتصر عليه سيزيف وهرب من العالم السفلي وتمرد عليه، وأحدث ثورة ضد "هيديس وزيوس"، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على أن "سيزيف" كان يرغب في حياة أفضل كلها سعادة وحرية بعدما كانت الحرية حكرًا على الآلهة آنذاك، فتمرد إذن هو وسيلة لتحقيق الحرية التي سلبت منه ومحاولة للقضاء على الظلم والاستبداد الذي كانت الآلهة تمارسها ضده وضد مجتمعه، فهو رفض هذه الحياة المظلمة والتعيسة والتي أجبرته على رفع الحجر إلى أعلى الجبل، فهذا العمل شاق ومتعب من جهة، ومن جهة أخرى ليس له معنى ولا فائدة للقيام به، إنه الجنون في حد ذاته.

إنه ما يبرره الواقع اليوم، فمعظم الشباب يعيشون حالة من الاكتئاب والقلق نتيجة غياب الظروف المعيشية البسيطة التي تمكنهم من الحياة ككل البشر، هذا الظلم واللامساواة واللاعدالة المنتشرة في المجتمعات والتي قمعت حريات أفراده نتيجة الأنظمة السائدة، دفعت الأفراد إلى التمرد والثورة من أجل تحقيق الذات وهذا ما يحاول ألبير كامو تبريره بشخصية "سيزيف"، هذه الأخيرة إذن ماهي إلا رمز استعمله للبرهان عن حالة الأفراد والشباب في ظل الأنظمة والقوانين التي قمعت حريتهم وإبداعاتهم، ولهذا السبب لجأ الأفراد إلى رفض ذلك الوضع بإسقاط الأنظمة المستبدة والتمرد على قوانينها لاسترجاع حريتهم واستقلاليتهم، فكم من شخص تمرد على دولته ونظامها السائدة وخلق القوة الاندفاعية لباقي أفراد المجتمع للتحرر من سلطة الحاكم المستبد، وهو ما فعله "سيزيف" ضد الآلهة ، وإذا لم يستطع الفرد

1- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، ص ص (115-114).

الاستمرار، وهذا ما أكده أيضا "كامو" في مسرحية "كاليغولا" هذا البطل الذي حاول أن يبني إمبراطورية فيها كل القوانين التي تساعد الشعب على العيش في كنف الحرية والأمن، ولكنّه تفطن في الأخير إلى اللاجدوى من هذه الحياة وهذا العالم، لأنه لم يتوصل عن تحقيق ما يريده، فاختلطت عليه الأمور وأصبح العقل في حد ذاته لا يستطيع السيطرة على شهوات الجسد، وانتشرت الفوضى واللامعقول في هذه الإمبراطورية وهذا ما دفع بكاليغولا إلى التمرد على الآلهة بعدما فقد أخته والتي هي عشيقته عندما أعلن الزواج منها وهو ما رفضته الآلهة لأنه لا يتماشى مع قوانين الإمبراطورية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تأكد "كاليغولا" من لا فائدة هذا العالم عندما حاول الإمساك بالقمر لتحقيق السعادة إلا أنّه فشل في ذلك، وهو الفشل دفع به إلى التمرد على الآلهة، هذا ما تؤكده هذه السطور من المسرحية.

تشيريا: علمت بعودتك، أصلي للآلهة من أجل أن تبقى صحتك بخير.

كاليغولا: صحتي، إنها تقدم لك آيات الشكر، أغرب عن وجهي ياشيريا لا أريد أن أراك ثانية.

شيريا: هذا ما يدهشني، يا كايوس.

كاليغولا: لا تندهش، لا أحب الأدباء ولا أتحمل إفكهم، يتكلمون بذلك الشكل، الذي لا يسمعون في أنفسهم وإذا سمعوها، تبين لهم مقدار تفاهاتهم، وعلى الأثر يصمتون لا، يكفيني شهادة زور، إني أمقتهم.

شيريا: إذا كذبنا أحيانا، يكون كذبنا دون قصد، وهذا يدفع التهمة.

كاليغولا: الكذب لا يكون بريئًا، وكذبتك تترك أثرًا وأهمية عند الناس والأشياء، لهذا لا أستطيع أن أصفح عنك.

شيريا: ومع ذلك، يجب الوقوف لحماية هذا العالم، طالما نرغب أن نعيش فيه.

كاليغولا: لا ضرورة للحماية، انتهت المحاكمة، لا أهمية لهذا العالم، ومن يدرك ذلك–يستحوذ على الحرية، أكرهكم لأنكم لستم أحرارًا ولا يوجد في إمبراطورية روما إنسان حر إلا أنا افرحوا فقد ظهر عندكم، في نهاية المطاف إمبراطور سيلقنكم درسًا في الحرية، أغرب عن وجهي يا شيريا، وأنت يا سيبون أيضا. فالصداقة أصبحت مهزلة، أعلموا روما أنها استعادت حريتها أخيرًا وأنّها ستبدأ عهدًا حافلا بالتجارب والمحن. [1]

1– ألبير كامو، **كاليغولا**، ترجمة يوسف إبراهيم الجهماني، (سوريا: دار حوران للطباعة والترجمة والنشر، بدون، بدون تاريخ النشر) ص ص (29،30).

وهنا نلاحظ أن كاليغولا يحاول الصمود أمام الآلهة ومواجهتها بأنه حر طليق من خلال بتمرده عليهم وعلى قوانينهم، وقد فعل المستحيل ليحكم زمام الإمبراطورية ويصبح سيدًا لها. ويسمو على الآلهة وهو ما نلمسه في قوله في حوار مع سيزونيا:

سيزونيا: أيعني ذلك، أنك تريد أن تتساوى مع الآلهة، لا أرى جنونًا أرهب من ذلك.

كاليغولا: حتى أنت تعتبرينني مجنونًا، نعم، من هو هذا الإله، كي أرغب أن أتساوى معه؟ والذي أسعى إليه الآن، مستخدمًا كامل قواي، هو أن أترفع عن جميع الآلهة، إنني أتولى سلطة دولة عظمى، لا مراد فيها لحكم المستحيل.

سيزونيا: لا تستطيع أن تجعل السماء تتوقف أن تصبح سماء، وأن يتحول الوجه الرائع إلى وجه قبيح وأن تقتل العاطفة في قلب الإنسان.

كاليغولا: أريد أن أذيب السماء في البحر وأن أصهر الجمال مع القبح، أن أخلق من الألم فقاعات من الضحك.

سيزونيا: إلا أن هناك خير وشر، عظمة وخسة، عدل وفوضى، صدقني أن هذا كله سيبقى دون تغيير.

كاليغولا: أرغب أن أبدل كل شيء سأقدم المساواة لعصري هذا هدية. وعندما يتساوى الجميع، سيصل في النهاية المستحيل إلى الأرض وسيصبح القمر بين يدي، وعندها تحين فرصة التحول لي وللعالم أجمع معي، وعندها يتوقف الإنسان عن الموت وفي نهاية المطاف، يصبحون سعداء. [1]

نلاحظ أن كاليغولا حاول عند تمرده على الآلهة أن يخلق عالمًا جديدًا يتوفر على فيه المساواة والعدالة والحرية، وأن يوقف الصراع والحروب والموت، حتى تتمكن الإنسانية من العيش في السعادة.

لم يظهر التمرد الماورائي الميتافيزيقي فقط في شخصية "سيزيف" أو في شخصية "كاليغولا"، وإنما التمرد الميتافيزيقية الحقيقي عند نظر "كامو" ظهر مع الأديب الفرنسي المركيزدي ساد* الذي تمرد هو الآخر على الطبيعة وأنكر وجود الله يقول كامو: «فلماذا إذن يكون الإنسان فاضلاً؟، إن أول حركة تصدر عن السجين هي أن يقفز إلى النتيجة القصوى

1- ألبير كامو، **كاليغولا**، ص 32.

* **المركيز ساد:** (1740-1814) أديب فرنسي، ذاع صيته بسبب كتاباته الإباحية حيث قضى ثلاثين سنة في السجن لفجوره، أهم كتبه: تعاسة الفضيلة-الفلسفة في المخدع-جرائم الحب.

من إنكار أقراننا ومن قتلهم... إن كلمة الغفران هي كلمة غريبة لدى أستاذ التعذيب هذا ولكنه لا يستطيع أن يغفر لنفسه فكرة تدحضها دحضًا تاما نظرته اليائسة إلى العالم وحالته كسجين. ثمة تمرد مزدوج سيوجه بعد الآن محاكمة "المركيز ساد"، تمرد على العالم وتمرد على الذات. وبما أن هذين التمردين متناقضين في كل مكان ماعدا في قلب مضطهد محطم، لذلك تظل محاكمته دائما غامضة أو مشروعة، وذلك حسب ما ندرسها على ضوء المنطق أو بدافع الرأفة». [1] فالأديب "المركيز دي ساد" تمرد هو الآخر على عالم القدسيات باسم الغريزة الجنسية حول هذا يضيف كامو «إن المركيز دي ساد أنكر الإله باسم الطبيعة– مع العلم بأن جعبة زمانه العقائدية تمده بأقوال مأخوذة من الفلسفة الآلية، وسيجعل من الطبيعة قوة مدمرة لأن الطبيعة في نظره هي الجنس، وهكذا يقود منطقه إلى عالم بلا قانون حيث لا سيد إلا طاقة الشهوة العارمة، هنا مملكته المحمومة، حيث يجد أجمل صرخاته: ما قيمة جميع مخلوقات الأرض إزاء شهوة واحدة من شهواتنا!»[2]

معنى هذا "المركيز" تمرد على القيم الأخلاقية والعقائد الدينية التي تدعو إلى النظام والاحترام، وذلك باتباع شهواته الجنسية اللامحدودة وارتكاب أبشع الجرائم في الجنس في تاريخ البشرية، وقد سجن عدة مرات بسبب أفعاله الشنيعة وأخلاقه الدنيئة والمنحطة، إنه يدعو إلى التمرد على الطبيعة من أجل تحقيق المتعة والهروب من اليأس والتذمر وكلما كان اليأس أكبر كلما حققنا متعة أكبر.

يقول كامو: «إني أمقت الطبيعة... أود لو أفسد عليها مخططاتها، لو أعاكس سيرها لو أوقف دوران الكواكب، لو أنشر البلبلة في الأفلاك السابحة في الفضاء، لو أحطم ما يفيدها وأمحو ما يؤذيها، وبكلمة موجزة: أتمنى أن أهينها في أعماقها، ولكني لا أستطيع النجاح في هذه المهمة» [3].

المركيز دي ساد إنسان فاسق ومجنون يحاول تبرير الحرية المطلقة وذلك بإطلاق العنان لشهواتنا وغرائزنا ويبدو أنه لا يقنع فحسب بفسوق فوضوي ولكنه شيد مجتمعات مثالية كما جرت العادة في زمنه، وذلك حتى يقنن الشرّ الطبيعي في بني البشر وهو أن فعل ذلك يشكل هيكلا قانونيا لا يختلف عن المجتمعات الدينية، وثم ينتهي أكبر الفاسقين إلى أن

1- ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص 50.

2- ألبير كامو، المصدر نفسه، ص ص (51،50)

3- ألبير كامو، المصدر نفسه، ص 60.

يكرر إجمالا شكلا تعيسا من أشكال الزهد، وهو دمار مطلق يقوم على تجريد من الصفات الإنسانية [1]، وهنا نلاحظ أن "دي ساد" يرى أن قيام الحرية المطلقة يكون على حساب غرائزنا وهو ما يتنافى مع الأخلاق والقيم والمبادئ الإنسانية فتمرده تمرد غير أخلاقي لأنه يقوم بشيء مستحيل باعتباره يخرق القوانين والمقدسات على حد سواء.

ومن المركيز دي ساد ينتقل كامو إلى الأديب الروسي "دوستويفسكي"* أين يجد في شخصية أحد أبطاله "كرلمازوف إيفان" الذي يحاول هو الآخر تجسيد التمرد الميتافيزيقي بحيث لا يدافع عن الشر إنّما عن العدالة، ويرفض اعتناق دين من الأديان حيث يقول: «فإذا كان الشر ضروريا للخلق الإلهي، فإن هذا الخلق يكون حينئذ غير مقبول، لن يعود إيفان يتوكل على هذا الإله الغامض، بل سيفوض أمره إلى مبدأ أعلى منه، إلى مبدأ العدالة، إنه يدشن المشروع الأساسي للتمرد ونعني استبدال ملكوت العون بملكوت العدالة. وفي الوقت نفسه يشرع بالهجوم ضد المسيحية. أما "إيفان" فيرفض اللغز رفضًا صريحًا، وبالتالي يرفض الله بوصفه مبدأ محبة. فالمحبة وحدها تستطيع أن تدفعنا إلى أن نقر بالظلم اللاحق بالعمال الذين يشتغلون عشر ساعات، ويجعلنا فيما بعد أيضا نقبل بموت الأطفال الذين لا يمكن تبريره»[2]، فهو إذن يرفض استباحة الجريمة وقتل الأبرياء، حتى ولو كان الله موجودا فهو يحاول التضامن مع البشر الهالكين في هذا الوجود العبثي واللامعقول.

بعد ذلك ينتقل "كامو" إلى "فريدريك نيتشه" الذي يدعو إلى التمرد الميتافيزيقي من أجل هدم قيم بالية لا تصلح للمجتمع عن طريق إيجاد قيم جديدة تساهم في إنقاذ المجتمع من الانحلال الخلقي ومن الفساد، ولا يكون هذا إلا بموت الإله حيث مارس "نيشته" الإنكار المنهجي والتهديم الدائب لكل الأشياء التي مازالت العدمية* تخفيها عن نفسها، ولكل المعبودات التي تخفي موت الإله لإقامة معبد جديد، لا بد من تهديم معبد قديم... ذاك هو القانون، من يريد أن يكون خالقا في الخير والشر، فلا بد له في اعتقاد "نيشته" من أن يكون

1- ديفيد شيرمان، **ألبير كامي**، ص 201.

***فيودرو دو ستويفسكي:** (1881-1821)، أديب روسي من مؤلفاته: الجريمة والعقاب-قلب ضعيف-الإخوة كارامازوف-الأبله.

2-ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص83.

* **فريديريك نيتشه:** فيلسوف ألماني أهم مؤلفاته: أخول الأصنام هكذا تكلم زرادتش، عدو المسيح.

* **العدمية الفلسفية:** وتتميز بإنكار وجود كل شيء، كما تتميز بإنكار قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة وهي ثلاثة أقسام: فلسفية أخلاقية، سياسية، فالأخلاقية نزعة فكرية تنكر القيم الأخلاقية، أما السياسية فقوامها انتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية والامتناع عن الاعتراف بشرعية القيم القانونية المفروضة على الأفراد.

هداما، وأن يحطم القيم، إن منتهى الشر هو إذا جزء من منتهى الخير، ولكن منتهى الخير خلاق»[1]. وهنا نلاحظ أن "نيشته" يحاول التمرد من باب العدمية وهذا عن طريق إنكار وجود كل شيء ويقول في هذا السياق: «وأنتم أيها الواضعون للقيم أقدارها بمقاسكم وموازينكم وبما تقولونه عن الخير والشر هل كان لكم أن تفعلوا هذا لو لم تكن لكم إرادة القوة؟ وما تطمحون في أعماق ضمائركم إلا إلى الشهرة والشعور بتأثركم وفيضان أرواحكم، إنكم تجهلون أن في الأمور التي تخضعونها لتقديركم قوة أعظم من تقديركم تنمو وتتفوق على ذاتها لتحطم غلافها وقشورها، فمن أراد أن يكون مبدعًا سواء أكان في الخير أم الشر فعليه أن يبدأ بهدم ما سبق تقديره وبتحطيمه تحطيمًا، وهكذا فإن أعظم الشر يبدو جزءا من أعظم الخير، ولكن هذا الخير لم يعطي إدراكه إلا للمبدعين. لقد حق علينا القول أيها الحكماء ومهما كلفنا الجهر به فإن الصمت أشد وطأة علينا، لأن كل حقيقة نكتمها إنّما تتحول إلى سم فلنحطم الحقائق التي نجهر بها».[2]

فلإعادة بناء قيم حسب "نيتشه" جديدة علينا أن نتمرد على القيم القديمة التي تصلح لبناء مجتمع جديد يكون هذا بإرادة القوة وبموت الإله.

كما يجسد "كامو" التمرد الميتافيزيقي في النزعة السريالية حيث يقول: «تمرد مطلق عصيان تام، تخريب منظم، مزاج هزلي، عبادة العبث... هذه هي السريالية التي تعرف في مقصدها الأول على أنّها مقاضاة كل شيء مقاضاة تستأنف في استمرار [3]، فهذه النزعة في نظره تدعو إلى التمرد والثورة الميتافيزيقية للقضاء واحتقار القواعد والروابط المنطقية للعقل وذلك بالاعتماد على الإنتاج الأدبي واللاشعور والحالات النفسية المرضية وهو ما سبق التطرق إليه في مبحث سابق.

«إن أبسط فعل سريالي يكمن في النزول إلى الشارع والمسدس في قبضة اليد، وإطلاق النار على جماهير الناس كيفما اتفق، من يرفض كل حكم غير حكم الفرد ورغبته، كل أولوية إلا أولوية اللاشعور، عليه في الحقيقة أن يتمرد في الوقت نفسه ضد المجتمع والعقل»[4]، وهنا نلاحظ أن هذه النزعة نزعة تدعو إلى التحرر والتمرد على الواقع بإهمال

1- ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص87.

2- فريديريك نيتشه، **هكذا تكلم زرادشت**، ص98.

3- ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص118.

4- ألبير كامو، المصدر نفسه، ص120.

القيم الأخلاقية والمعتقدات والأديان السماوية من أجل التخلص من اللغات القديمة والعادات البالية باتباع واقع آخر هو واقع اللاشعور واللاوعي الذي يساعد على تحرير الواقع وتغيير حياة المجتمع باستخدام القوة والعنف.

ومنه فالتمرد الميتافيزيقي على مستوى الفرد هو تمرد فلسفي جامد لم يضف للوجود العبثي سوى الفوضى والطغيان والهدم، إنه تمرد سلبي لا فائدة منه، تمرد لم يحمل سوى العنف واللامبالاة والانحلال الخلقي وهذا ما لا يتماشى مع الفطرة البشرية التي تتوق إلى الترفع والسمو والتعالي والتخلق بالأخلاق الفاضلة والقيم والمبادئ التي تدعو إلى المساواة والعدالة.

ب- التمرد التاريخي (على المستوى الجماعي):

ينتقل "كامو" من التمرد الميتافيزيقي إلى التمرد التاريخي الذي هو الطغيان والثورة والإرهاب لتحقيق الهدف، فهو عبارة عن انقلاب على الوجود العبثي الذي غابت عنه العدالة والحرية وكل القيم التي تجعل الإنسان إنسانًا. "**الحرية**" هذا الاسم الرهيب المكتوب على مركبة العواصف، هي في مبدأ الثورات كلها تمرد فتمردات العبيد والثورات القاتلة للملوك وثورات القرن العشرين قوبلت بوزر متعاظم بقدر ما استهدفت إقامة حرية متعاظمة الكمال هذا التناقض الذي أصبح ساطعا حال دون ظهور معالم السعادة والأمل على رجالنا الثوريين، هذه المعالم التي كانت ظاهرة في وجوه رجالنا التأسيسين وفي خطبهم [1].

فالتمرد الميتافيزيقي لم ينفع في مواجهة الوجود العبثي وفي تحقيق الحرية التي هي مطلب الإنسان، وعليه فلتحقق ذلك لابد من اللجوء إلى الثورة. فالتمرد التاريخي هو أن يتمرد إنسان ضد إنسان آخر على الأرض الباغية، فتكون النتيجة فقط قتل إنسان، إن فتن العبيد وانتفاضات الفلاحين وحروب الصعاليك، وتمردات أهل الريف تضع في الخط الأول مبدأ تعادل، حياة مقابل حياة، وهو مبدأ سنجسده دائمًا[2] التمرد التاريخي هو الثورة والقتل وهو تمرد الإنسان ضد أخيه الإنسان من أجل تحقيق العدالة والمساواة، ومن هذه الثورات التاريخية يذكرنا كامو بالثورة الفرنسية والروسية وكذلك تمرد "سبارتاكوس": «أن تمرد سبارتاكوس في نهاية العالم القديم، وقبل التاريخ المسيحي بعشرات السنين، هو بهذا

1- ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص 135.

2- ألبير كامو، المصدر نفسه، ص83.

الخصوص أنموذجي، نلاحظ أولاً أن المسألة مسألة تمرد مصارعين، أي تمرد عبيد للمبارزات الفردية، ومحكوم عليهم بأن يقتلوا أو يقتلوا في سبيل متعة الأسياد، هذا التمرد الذي ابتدأ بسبعين شخصًا انتهى بجيش جرار قوامه سبعون ألفًا من العصاة حطوا أخيرًا الفيالق الرومانية وتوغلوا في إيطاليا ليزحفوا نحو المدينة الخالدة بالذات، مع ذلك لم يأت هذا التمرد بأي مبدأ جديد في المجتمع الروماني، إن النداء الذي وجهه "سبارتاكون" اكتفى بأن يعد العبيد بحقوق متكافئة، هذا الانتقال من الواقع إلى الحق، والذي حللناه في حركة التمرد الأولى، هو في الحقيقة المكتسب المنطقي الوحيد الذي يمكننا أن نجده في هذا المستوى من التمرد. فالعاصي يطرح العبودية ويؤكد نفسه مساويًا للسيد، إنّه يريد أن يكون سيدًا بدوره).[1]

لقد حاول "سبارتاكوس" بهذا التمرد أن يعيد للعبيد حقوقهم وكرامتهم–وهذا لا يتحقق إلى عبر الثورة على أسيادهم الذين احتكروا الحرية والعدالة، أما باقي العبيد فليس له الحق في ذلك، فأصبحت الثورة هي ما يتحول إليه التمرد عندما يفعل أي شيء ليقضي على تمرد أخر، والثوري الذي يقتل يدان أخلاقيًا، إلا إذا دفع حياته ثمنا لموت ضحيته هذا، لتنتهي مرحلة التمردات عام 1793 ويبدأ عصر الثورة على المقصلة، ومنه فإن لتمرد العبيد بقيادة "سبارتاكوس" يعد نموذجًا طارحًا التزامه بمبدأ المساواة، ورفضه محاصرة روما، واستعدادا للموت في سبيل أفعاله[2]، فالثوري يضحي بنفسه ليحقق الكرامة والسيادة للآخرين.

إن حركة الثورة ليست في جوهرها حركة أنانية، أجل قد تكون ثمة دوافع أنانية لكن الثورة تكون ضد الكذب كما تكون ضد الاستبداد، وآية ذلك أيضًا أنها لا تنشأ بالضرورة عند المضطهد أو المستبد به وحده، بل قد تتولد أيضا من منظر الاضطهاد الذي يعانيه الآخرون، وفي هذا الشعور المتبادل مع الغير، والشاهد على ذلك ما كان يقع من انتحار بعض الإرهابيين الروس احتجاجا منهم على جلد زملائهم في معسكرات الاعتقال والنفي، ولم يكن ذلك بسبب المصلحة المشتركة بين هؤلاء المعذبين بقدر ما كان شعورًا بأن المصير واحد.[3]

إن التمرد التاريخي في الحقيقة عند "كامو" تمرد فوضوي فهو إذا جاء لإعادة القيم والمبادئ الإنسانية التي سلبت وغابت في الوجود والعالم، فإنّه في الحقيقة يؤدي إلى نشر

1- ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص ص (140-139).

2- ديفيد شيرمان، **ألبير كامي**، ص 208.

3- عبد الرحمان بدوي، **دراسات في الفلسفة الوجودية**، ص 221.

الفوضى والمزيد من الآلام والمعاناة والمأساة والقتل، وإذا جاء لبناء الأمة وإصلاحها فإنّه في الحقيقة يدمرها. ولهذا السبب يدعو "كامو" إلى ضرورة العدول عن الثورة والعودة إلى التمرد المتمثل في الاحتجاج الذهني على كل القيم الفاسدة والأخلاقية، لأن الثورة تستلزم العنف والقوة وهذا ما يجعل الإنسان يبقى أسيرًا في الوجود العبثي، خاصو وأن هذا الأخير قد أفرزته ثورات القرن العشرين، خاصة الحربان العالميتان الأولى والثانية، وهو ما رفضه الفيلسوف منذ البداية لأن العنف لا يولد إلا العنف، والاعتقاد بأن الثورات العنيفة تصنع القيم والأخلاق مستحيل لأنها إنّما تزيد من ضياع الإنسان واغترابه، فلمواجهة الوجود العبثي لابد من التمرد وليس الثورة.

3-علاقة الثورة بالتمرد:

أ- <u>حقيقة الثورة:</u>

تعتبر الثورة نقطة تحول في حياة المجتمع لقلب النظام البالي وإحلال نظام تقدمي جديد محله، وهي بهذا تتميز بالانقلاب الذي يتخلص في نقل السلطة من يد إلى أخرى [1] فالثورة هي كذلك تغيير جوهري في أوضاع المجتمع لا تتبع فيه طرق دستورية، والفرق قلب نظام الحكم، أن الثورة يقوم بها الشعب، على حين أن قلب نظام الحكم يقوم به بعض رجال الدولة، وثمة فرق آخر بين الأمرين، فهدف الانقلاب مجرد إعادة توزيع السلطة السياسية بين هيئات الحكم المختلفة، ومع أن نجاح الثورة يؤدي إلى سقوط الدستور وانهيار نظام الحكم القائم، فإنه لا يؤدي إلى تبديل شخصية الدولة، ولا إلى إلغاء التزاماتها الدولية، والثورة مقابلة للتطور: فهي سريعة وهو بطيء، وهي تحول مفتاح، وهو تبدل تدريجي ومن أشهر الثورات السياسية والاجتماعية التي حدثت في التاريخ الثورة الأمريكية عام 1772 والثورة الفرنسية عام 1789 والثورة الروسية عام 1917 وكل حركة تؤدي إلى تغيير جذري في المجتمع دون عنف أو قهر [2].

فالثورة عند "كامو" هي: «حركة تقفل الحلقة، تنقل من حكومة إلى أخرى بعد دورة انتقالية تامة. إنها تبديل يطرأ على نظام الملكية دون أن يقابله تبديل في الحكومة، ليس ثورة بل اصلاحًا، ليس ثورة اقتصادية، سواء أكانت دموية أو سلمية في وسائلها، لا تبدو في

1- ابراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، ص 58.

2- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ص ص (382-381).

الوقت نفسه ثورة سياسية» [1]، أيضا هي كما يقول "كامو": «تلك التي تهب الحياة قيمتها وحين تنتشر لتشمل طول الحياة كله، فإنها تهب تلك الحياة روعتها، والشخص الذي لا تحجب رؤيته الحجب لا يجد منظرًا أبهى من منظر الإدراك الذي يعالج واقعا هو وراء حدوده، وليس هنالك ما يضارع بصر الكبرياء البشري، كما أن محاولة الانتقاص منه لا تجدي نفعًا، والضبط الذي يفرضه الذهن على نفسه والإرادة المستدعاة من لا شيء والصراع وجها لوجه، كل تلك الأمور تتميز بصفات غير عادية»[2]، فالثورة هي التي تعطي للحياة قيمة وقداسة وهي التي تمكن الإنسان من العيش في عالم تسوده القيم والأخلاق، حيث يقول كامو: «الثورة هي إحدى المواقف الفلسفية الوحيدة المتماسكة، إنها المواجهة الدائمة، بين الإنسان وغموضه والإصرار على شفافية ووضوح مستحيلين، وذلك الموقف يتحدى العالم من جديد في كل ثانية، وكما أتاح الخطر للإنسان الفرصة الفذة ليغتنم يقظة، فإن الثورة الميتافيزيقية تجعل ذلك التيقظ يشمل التجربة كلها، وذلك هو مثول الإنسان الدائم أمام عيني نفسه، وهو ليس طموحًا، لأنه خال من الأمل، إن تلك الثورة هي يقين المصير الساحق بدون الاستسلام الذي كان يجب أن يرافق ذلك اليقين» [3]. معناه ذلك فإنه بالثورة يستطيع الإنسان أن يتحدى الغموض واللامعقول الموجود في العالم هو ما لا يتم إلا بعد إدراكه ووعيه لعبثية الوجود ومواجهته لها، حتى يستطيع تحقيق السعادة والأمن والتخلص من اللامبالاة والظلم، وهذا ما دفع بعبد "الغفار مكاوي" ليتساءل عن الهدف الذي يحاول الإنسان تحقيقه من وراء الثورة بأنه في حقيقته مساعدة الإنسان على الحياة، لكي يثور في وجه الموت، وإعطاء السعادة لكي يحتج على شقاء العالم الذي ألقى به فيه، وتأكيد العدالة لكي يكافح الظلم الأبدي المحيط به من كل جانب، وأن نتوخى في أفعالنا وأن يعثر الناس على تضامنهم من جديد لكي يشتركوا معًا في التمرد على مصيرهم [4]، وعليه فالثورة هي وسيلة للتحرر من العبودية والاستغلال وهي لا تكون أبدًا نهاية في حد ذاته بل هي وسيلة لتحقيق العدالة.[5]

1-ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص 136.

2-ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص64.

3- ألبير كامو، المصدر نفسه، ص64.

4- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **محاولة لدراسة فكرة فلسفة**، ص 119.

5- ديفيد زين ميروفتيش، **أقدم لك ألبير كامو**، ص141.

ب- <u>علاقة التمرد بالثورة:</u>

يرى "كامو" هناك تقدمًا من التمرد إلى الثورة، حيث أن المتمرد ليس شيئًا إن لم يكن ثوريًا، التناقض هو في الحقيقة أشد، فالثوري هو في الوقت نفسه متمرد، وإلا فإنه ليس حينئذ ثوريًا، بل شرطيًا وموظفًا ينقلب على التمرد ولكن إذا كان متمردًا فإنه ينقلب في النهاية على الثورة، بحيث لا يوجد تقدم من موقف إلى آخر» [1]. فالتمرد وحده لا يكفي للقضاء على القمع والعبودية الموجودة في الكون إذا لم تصاحبه ثورة تأتي بالجديد.

وعليه يتمرد الإنسان ضد الظلم المتأصل في الدولة، ولو نجح هذا التمرد، فإنه يصبح ثورة. [2] ومنه فالتمرد دائما تتبعه الثورة والعصيان والعنف وهذا ما أكده "كامو" في قوله: «الحقيقة أن الثورة المطلقة كانت تفترض الطواعية المطلقة في الطبيعة البشرية وإمكان تحويلها إلى حالة قوة تاريخية، ولكن التمرد لدى الإنسان هو الرفض في أن يعامل معاملة الشيء» [3]، فالثورة هي التي تكمل ما جاء التمرد لتحقيقه، لأن المتمرد لا يصل إلى تحقيق غاياته وأهدافه في محاربة الظلم والاستغلال والحرمان إلا بالثورة.

ويواصل "كامو" المقارنة بين الثورة والتمرد حيث يقول: «إن مطلب التمرد الوحدة ومطلب الثورة التاريخية الكلية، التمرد ينطلق من الرفض المستند إلى قبول، والثورة التاريخية تنطلق من الإنكار المطلق وتحكم على نفسها بكل العبوديات لتصنع "نعم"، مؤجلة إلى نهاية الأزمنة. التمرد مبدع والثورة التاريخية عدمية، الأول مطالب لأن يخلق في سبيل المزيد من الكينونة، والثانية مجبرة على أن تنتج». [4]

وعليه فالثورة هي التي تخلق حياة جديدة بعد القتل والعنف والتدمير الذي تمارسه ضد التاريخ وهذا ما أكده عبد "الغفار مكاوي" في قوله أي المتمرد لا يكون شيئًا حتى يكون ثائرًا والعكس صحيح، فالثائر الذي لا يكون في الوقت نفسه متمردًا لا يتسنى له أن يكون ثائرًا بحق، إنه حين يحيد عن منبع التمرد موظفًا أو رجلا من رجال البوليس، تلغي أفعاله التمرد في حقيقته ومعناه» [5]، ومنه فالثورة تهدف إلى التغيير والتجديد وتحسين الظروف

1- ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص 310.

2- ديفيد زين ميروفتيش، **أقدم لك ألبير كامو**، ص141.

3- ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص 311.

4- ألبير كامو، المصدر نفسه، ص ص (313-312).

5- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **محاولة لدراسة فكرة الفلسفي**، ص ص (122-121).

للقضاء على الفوضى وخلق عالم جديد، والتمرد ما هو إلا طريق لتحقيق هذه الثورة وفتح المجال لها للخوض في ذلك. إنها تغيير مفاجئ في النظام الاجتماعي، لكنها أكثر عقلانية من التمرد لأنها لا تبحث فقط عن التحطيم بل تريد أيضًا بناء جديد، ولا تبقى في لحظة النقد بل تسعى إلى أن تكون فاعلة وتتحول إلى قوة اقتراح وتبدع بدائل ممكنة... إذا كان التمرد واجبًا على كل فرد تعرض الاضطهاد والاستغلال فإن الثورة حق بالنسبة للشعوب التي تصاب بداء الاستبداد والشمولية... وإذا كان التمرد يقتصر على المجال الاجتماعي والسياسي فان الثورة تطلق على مختلف المجالات وبالتحديد ميادين الثقافة والعلم والاقتصاد والسياسة والتقنية والفنون [1].

كذلك فإن حركة التمرد عند كامو هي: «تغيير وجهتها، إنها ليست سوى شهادة مضطربة، أما الثورة فتبدأ اعتبارًا من الفكرة، إنّها بالضبط إدخال الفكرة في التجربة التاريخية في حين التمرد هو فقط الحركة التي تقود من التجربة الفردية إلى الفكرة، فتاريخ حركة التمرد، حتى ولو كان تاريخيا جماعيًا، تاريخ ولوج في الوقائع بلا مخرج، واحتجاج مبهم لا يستخدم مذاهب ولا أسباب، أما الثورة فهي محاولة لتكييف الفعل على فكرة، ولصياغة العالم في إطار نظري، لهذا السبب يقتل التمرد أناسا. أما الثورة فتهلك أناسا وتهدم مبادئ في نفس الوقت»[2]. التمرد إذن حركة يقوم بها الإنسان من أجل التنديد بالظلم واللامساواة واللامبالاة في المجتمع، يكون بدون سلاح، وهو مجرد أفكار تدعو إلى ضرورة تغيير الواقع العبثي، أما الثورة هي انقلاب وهدم وقتل، هي الهلاك بعينه: إنها كما يقول "محمد يحياتن" تختلف عن التمرد وذلك بالنظر إلى أهميتها والنتائج التي تحققها، وهذا فضلا عن كونها فورية وسريعة تتوخى العنف في أكثر الأحيان، أما التمرد فيختلف عنها لأنه ينقضي سريعًا. [3]

فالثورة إذًا انقلاب عنيف دموي يجسد الفكرة في الواقع، أما التمرد فهو مجرد أفكار وشعارات جامدة وعقيمة، وعليه نلاحظ أن حركة التمرد تصدر عن تجربة الفرد ومعاناته من واقع ما وهذه التجربة سرعان ما تتحول إلى فكرة، وهذه الأخيرة هي التي تدخل حيز الثورة التي بفضلها يحقق المضطهد والمستبد الاستقلالية والحرية والمساواة، هذا من جهة ومن جهة

1- زهير الخويلدي، **الفرق بين التمرد والثورة**، متاح على: www.arabtimes.com

2- ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص 136.

3- محمد يحياتن، **مفهوم التمرد عن ألبير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية**، ص24.

أخرى أن الثورة ما هي في الأخير إلا عبودية ومعاناة ومأساة أخرى وحتى تبقى الثورة ثورة عادلة لابد أن تمارس تحت أساليب التمرد.

المبحث الثاني: من الثورة إلى التضامن

1- مفهوم التضامن

التضامن لغةً هو ضمن الرجل ضمنا كفله، أو التزم أن يودّي عنه ما قد يقصر في أدائه، وقد ولد المحدثون من فعل ضمن فعل تضامن، فقالو تضامن القوم، التزم كل منهم أن يؤدي الآخر ما قد يقصر عن أدائه، والتضامن عندهم التزام القوي أو الغني معاونة الضعيف أو الفقير. والتضامن في الأصل، مصطلح حقوقي، معناه أن يكون كل من المدنيين ملتزما بتأدية الدين عن الآخرين بحيث تأدية إلى تبرئتهم جميعا. ويطلق واجب التضامن أيضا على التزام أفراد المجتمع إعانة بعضهم بعضا وإذا كان التعاون بينهم واجبا فمرد ذلك إلى كونهم أعضاء جسم واحد [1].

والتضامن أيضا هو تلك العلاقات الفاعلية التي تهتم فيها الذوات بالمسار الشخصي للآخرين المشاركين لهم في التفاعل، لأنهم أقاموا معهم روابط التقدير الاجتماعي. ففي عملية التضامن، حينما يتم الاتفاق على هدف عملي ما يمكن أن يظهر دفعة واحدة أفقا للقيم التذاوتية الذي يتعلم من خلاله كل فرد من أفراد المجتمع الاعتراف بأهمية وقيمة مؤهلات وإمكانات الآخرين [2].

2- التضامن للتجسيد القيم:

ما هو ملاحظ أن "كامو" حاول أن يحرر الإنسان من العبودية، وكل أشكال الظلم والحرمان وأن يخلصه من عالم اللامعقول واللامبالاة الذي يعيش فيه، وذلك عن طريق نشر أفكار التمرد والثورة لبناء حياة تتأسس على العدالة والمساواة، ولكنه توصل إلى أن الثورة في الحقيقة لا تخلص البشرية من العبودية، وإنما تزيدها ظلمًا على ظلم وعبودية على عبودية وحرمان على حرمان، لهذا دعى إلى ضرورة التضامن والتسامح لمواجهة الخطر الذي يخلق القيم الأخلاقية بين الناس، وليس الثورة التي تعمل على تحطيمها وتدميرها، فالتضامن هو ذلك الشعور بالأخوة والإنسانية والتعاون والألفة بين الناس، إنه ينشأ عن الوعي بالشقاء

1- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ص ص (287-286).

2- كمال بومنير، **اكسل هونيث فيلسوف الاعتراف**، ص60.

المشترك، سواء أصاب مجموعة من الناس أو داهم جميع الناس، ويظهر إلى الوجود بقدر مواجهتهم لخطر مشترك يتهددهم في الكفاح المشترك ضد الخطر المشترك يتحد الناس ويخاطرون بالتضحية بكل شيء لكي ينقذوا هذا الجزء من كيانهم الذي لا يمكن أن يردّ إلى فكرة مجردة. [1]

التضامن يظهر في المواقف الصعبة والمؤلمة التي تعيشها البشرية فعلى سبيل المثال الوباء أو الطاعون الذي أصاب مدينة وهران حسب "كامو" جعل الناس يتضامنون فيما بينهم لمواجهته لأنه قضية إنسانية حيث يقول: «يمكن القول أن الطاعون قد أصبح قضيتنا جميعًا، إلى هذا الحد، وبالرغم من المفاجأة والقلق الذي حملته الأحداث لهم، أن كل مواطن من مواطنينا يتابع أشغاله كما يستطيع كالمعتاد، وبلا شك كان مفروضا أن يستمر هذا ولكن بمجرد أن أغلقت الأبواب، أدرك الناس أنهم جميعًا بمن فيهم الراوي نفسه قد أصبحوا متساوين، وعليهم تدبير أمرهم هكذا، مثلا أصبح الشعور الفردي كشعور الانفصال عن كائن غزيرًا، فجأة منذ الأسابيع الأولى، مثل شعور شعب بكامله، وبالخوف والألم الذي يحمله زمن العزل الطويل»[2]، ومنه فالتضامن شرط ضروري لمواجهة الخطر الذي ينزل على البشرية وهذا ما لمسناه في رواية الطاعون أين تضامن جميع الناس ضد هذا الوباء من خلال تقديم المساعدات والتعاون والاتحاد فيما بينهم حيث يضيف كامو: «هذا ليس سببا كافيا هذه حكاية سخيفة، أعرف ذلك لكنها تخصنا جميعًا، ينبغي أخذها كما هي، لكني لست من هنا!–من الأن للأسف! ستكون هنا مثل الجميع. إنها قضية إنسانية. أقسم لك، ربما أنك لا تعير انتباها لما يدل عليه انفصال مثل هذا بالنسبة إلى شخصين متفاهمين جيدًا»[3]. معنى ذلك أنه لا يمكن لأي شخص أن يتّهرب من هذه القضية التي تعتبر في رأي "كامو" قضية إنسانية تشمل الجميع. ولهذا وجب عليهم أن يتحدوا للتخفيف من معاناة وألم المصابين بهذا الوباء.

ومنه نلاحظ أن الثورة لا يتحقق للإنسانية قيمتها وإنسانيتها بل تشتت كيانها وتجعلها تعيش في الحرمان والمعاناة والشعور بالاغتراب والوحدة، أما التضامن فهو الطريق الوحيد لإرجاع شمل الإنسانية ومساعدتها على مواجهة الخطر والتحرر منه والغاية من ذلك هو

1– عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **محاولة لدراسة فكرة الفلسفى**، ص 162.

2– ألبير كامو، **الطاعون**، ترجمة عبد الرحمن مزيان، (بجاية: دار تلانتيقيت للنشر والتوزيع، 2014)، ص71.

3– ألبير كامو، المصدر نفسه، ص90.

مساعدة الإنسان على التكيف والتأقلم من جديد وتحقيق السعادة والعدالة لكي يناضل ويحارب الظلم الذي يحيط به من كل جانب، واحترام إنسانية لكي يتوخى في أفعاله أن يعثّر البشر على تضامنهم من جديد. [1]

ومنه فدعوة "كامو" البشرية إلى التضامن والتآزر هو محاولة توعيتهم بأضرار الحروب السابقة وما تخلفها من نتائج وخيمة على الإنسانية، فالوباء أو الطاعون ما هو إلا رمز من رموز المعاناة والألم الذي عانت منه البشرية والذي دفعها إلى ضرورة التضامن والألفة لمواجهة عبثية الحياة.

فكامو من خلال رواية الطاعون حاول ترسيخ القيم الأخلاقية والإنسانية في المجتمع الذي أصبح بعد الحروب العالمية غير واعي، وعديم الإحساس بالآخرين وهدفه الوحيد هو تحقيق مصالحه الخاصة ولو على حساب أقرب الإنسان إليه.

التضامن في نظر كامو واجب على كل واحد لمواجهة الوباء أو الخطر الذي يهدد كيان وأمن البشرية وهذا ما أكده في روايته الطاعون في قوله: «إن الذين نذروا أنفسهم للتكوين الصحي ليس بهم شيئا كبيرا يفتخرون به، في الحقيقة، لأنهم كانوا يعرفون انه الشيء الوحيد الذي يقومون به وهذا حتى لا يقررون بشأنه انه خارق للعادة لأن هذا التكوين يساعد مواطنينا ليدخلوا أكثر في الطاعون وليقنعهم جزئيا، ما دام المرض هنا، يجب القيام بما وهو واجب للمقاومة ضده. لأن الطاعون أصبح هكذا واجب البعض، وقد ظهر حقيقة لأنه كان قضية الجميع» [2]. أي وجب على كل واحد الاستعداد والتحضير لمساعدة الآخرين المتضررين من الوباء والتضامن معهم لمواجهة هذا الخطر الذي يهددهم بالهلاك والموت هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى يحسون بمعاناتهم وآلامهم وذلك عن طريق القيام بالتكوين في مجال الصحة وترك كل انشغالاتهم الأخرى لأن هذا الاتحاد والتضامن قضية تخص الكل دون استثناء.

معناه أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش ويواجه الخطر الذي يعرقل مسار حياته وحياة مجتمعه بمفرده وبمعزل عن المجتمع، فالتضامن يستدعي التكتل والاتحاد والتعاون لتغلب على الخطر خاصة في الحروب، لأنه بفضله يتوحد البشر في كفاحهم المشترك ضد إهدار

1- جون كروكشانك، **ألبير كامو وأدب التمرد**، ص21.

2- ألبير كامو، **الطاعون**، ص ص (135-136).

كرامة الإنسان على يد الإنسان، وضد الموت المصنوع أو القتل في العصر الحديث. وهذه الحركة الصاعدة من الأنا إلى نحن، ومن الفردية إلى التضامن بين أفراد وحيدين هي التي تميز هذا التوسع في مجال الفكري [1]. فالتضامن مهم لتحقيق الاستمرار والألفة بين الناس ومحاربة الأنانية والحقد.

فالتضامن الاجتماعي هو الذي يسمح للأفراد بتحقيق ذواتهم من خلال علاقات الاعتراف المتبادل، غير أن هذا التضامن قد أصبح في المجتمعات الحديثة متوقفا–داخل نسيج شبكة العلاقات الاجتماعية–على وجود علاقات التقدير المتماثل بين الذوات التي حققت استقلالها الذاتي، غير أن شعور المرء بالتقدير بقية ذاته أمر يتوقف على الآخرين أو تقدير الغير، وعندما يحصل المرء على هذا التقدير، يستطيع تحسين صورته إلى ذاته بصورة ايجابية، لأنه يتأثر بصورة كبيرة بمواقف الاخرين [2]. ومنه فالإنسان لا يستطيع أن يحرر نفسه من العبودية والاستبداد ما لم يساعده المجتمع في ذلك عن طريق التضامن والتعاون معه في تحقيق استقلاليته وحريته.

ومنه فالإنسان يحب ويرغب في أن يحيا حياة مليئة بالسعادة والحب والأخوة والوئام وهذا لا يتحقق إلا إذا وجد مساعدة من أخيه الإنسان وهذا ما أكده "اريك فروم"Erich Fromm انه بوسع المرء أن ينقذ أخاه الإنسان باتخاذ الخيار نيابة عنه يساعده، إذ يستطيع أن يشير إلى البدائل الممكنة، بالإخلاص والحب، دون أن يكون عاطفيا ودونما وهم، فالمعرفة والوعي بالبدائل المحررة تستطيع أن توقظ من جديد كل الطاقات الكامنة في الفرد وتضعه على الطريق ليختار احترام الحياة بدلا من الموت [3]. أي أن الاستمرار في الحياة لابد من التعاون والتسامح والألفة لتحقيق السعادة والراحة والاطمئنان، وأن لم يكن ذلك فالمرء لا يستطيع أن يحيا حياة مليئة بالمعاناة والألم وهذا من طبيعته الفطرية، فهو ينفر من هذه الحياة ولا يرغب فيها لأنه لا يمارس حريته بكل إرادة.

ومنه فعند حدوث كارثة أو حرب أو وباء فعلي كل فرد من الأفراد داخل مجتمعه عليه أن يتنازل عن أنانيته في الاكتساب والملكية والحب، عليه أن يجند نفسه للتضامن مع الكل لمواجهة الخطر بكل الوسائل وهذا ما حاول "كامو" أن يؤكده في رواية الطاعون عندما

1– عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **ومحاولة دراسة فكره الفلسفي**، ص150.

2– كمال بومنير، **اكسل هونيث فيلسوف الاعتراف**، (بيروت: منتدى المعارف، الطبعة الأولى، 2015)، ص ص(60–59).

3– اريك فروم، **كينونة الإنسان**، ص114.

قال: "يمكن القول كي ننتهي أن المفصولين لم يعد لهم هذا التمييز الفضولي الذي كان يحفظهم من قبل. لقد فقدوا أنانية الحب والربح الذي كانوا يجنونه منها. على الأقل، الآن الوضعية واضحة، الوباء يعني الجميع. نحن جميعا، وسط تفجيرات تقرع أبواب المدينة تصادم يؤكد حياتنا أو موتنا، وسط حريق وبطاقات، رعب وشكليات، تعد بموت حقير، لكنه مسجل بين الدخان المرعب والصفارات الهادئة لسيارات الإسعاف، أننا نتغذى من الخبز نفسه للعزل، ننتظر دون أن نعرف الاجتماع ذاته والسلم المزلزل نفسه" [1]. معناه كل واحد مجبر علي التعاون والتضامن لإنقاذ الآخرين من الكارثة وتقديم يد العون لمواجهة كل صور العبث الموجودة في الحياة.

وحتى يتم الوصول إلى علاقة غير منقطعة مع ذواتنا، لا تحتاج الذوات الإنسانية إلى التجربة القانونية فقط، وإنما هم أيضا في حاجة إلى التقدير الاجتماعي الذي يسمح لهم بتحقيق انسجامهم الايجابي مع صفاتهم وخصائصهم النوعية وإمكاناتهم العينية. غير أن تحقيق هذا الغرض مرهون بوجود أفق قيم مشتركة بين الذوات المعنية. لأن الأخر والذات لا يمكن أن ينالا التقدير المتبادل كأشخاص متفردين إلا إذا استندوا إلى قيم وغايات مشتركة وهذا بقدر ما يقيس أهمية صفاته وخصائصه النوعية بحياة الاخر [2]. اعتقد أن الشعور بالمساواة يتحقق عندما يكتشف المرء نفسه بشكل كامل عندما يلاحظ المرء أنه نادى للآخرين ويعرف نفسه بدلالتهم. فكل فرد يحمل الإنسانية داخله، الشرط الإنساني فريد ومتساو بالنسبة لكل البشر، على رغم من الاختلافات الحتمية في الذكاء، الموهبة، السمو واللون...أنه لابد من التذكير بالمساواة بين البشر، خصوصا، لتمنع إنسانا من أن يصبح أداة إنسان آخر [3]. فالمساواة شرط لتحقيق العدالة الاجتماعية وبالتالي تحطيم القيم البالية التي لم تمكن البشرية من تحقيق السعادة وراحة البال، ومنه فالتضامن شرط ضروري للإنسانية لتحقيق الألفة والتعاون فيما بينهما. حيث يضيف كامو وهو يصف الوباء:" أنه لم يعد هناك إذن سوي الأقدار الفردية، بل قصة جماعية التي هي الطاعون وبعض العواطف المتقاسمة بين الجميع [4]. فالتضامن يتم عن طريق التواصل مع الآخرين وتوسيع العلاقات خاصة

1- ألبير كامو، **الطاعون**، ص188.

2- كمال بومنير، **اكسل هونيث فيلسوف الاعتراف**، ص60.

3- اريك فروم، **كينونة الإنسان**، ص115.

4- ألبير كامو، **الطاعون**، ص172.

عند مواجهة الكوارث، لأن عملية التواصل هي التي تستطع أن تطور السلوك البشري وترقيته لان الخصال التي تدفع للصراع بدل من احتوائه، فالمحبة التي تفرزها هذه العملية يمكنها أن تجتنب البشرية الكثير من الماسي، لأن الحب واحده يستطيع الصفح، مادام واحده الحب يعرف تمام المعرفة كيف يفتح ذراعيه للشخص، كيفما كان، إن حد الاستعداد الدائم للصفح عما بدر منه ...ويوافق الحب، ما يمثله في دائرته، الاحترام في مجال الشؤون الإنسانية [1]. فالتضامن يخلق علاقات المحبة والتآزر والتواصل بين أفراد المجتمع وبين المجتمعات في العالم، فالفرد واحده لا يستطيع أن يصنع تاريخ وهذا ما أكده كامو في ورايته **الطاعون:** "من هنا تعرف أني لا أساوي شيئا لهذا العالم ذاته وانه انطلاقا من اللحظة التي أدنت فيها القتل حكمت على نفسي بمنفي نهائي. الآخرون هم الذين يصنعون التاريخ. أعرف أيضا، أني لا أستطيع على ما يبدو أن احكم على هؤلاء الآخرين. هناك ميزة تنقصني لأقوم بقتل منطقي. إذن هذا ليس سموا. لكن الآن، راض على ما أنا عليه، لقد تعلمت التواضع [2].

معناه التضامن يساعد الأفراد على إعادة بناء القيم الأخلاقية التي انهارت خلال النزاعات والحروب وسوء التفاهم الذي يتم بين الأفراد في المجتمعات، وهذا لا يتم إلا بالنضال والكفاح من أجل محاربة كل أشكال العبودية المنتشرة في كل مكان، لأن النضال من أجل الحرية يتمتع عموما بالمعني الوحيد لمقاومة السلطة المفروضة بالقوة، وللتغلب على الإرادة الفردية اليوم ينبغي أن يعني النضال من أجل الحرية تحرير أنفسنا فرديا وجميعا من السلطة التي خضعها لها عن طريق طيب خاطر، كما يعني تحرير أنفسنا من القوي الداخلية التي تقتضي هذا الخضوع لأننا غير قادرين على حمل الحرية [3]. فالتخلص من السيطرة والاستبداد الذي تعرضت له البشرية سوءا بإراداتها أو دون إرادتها لا يمكن التخلص منه بالنضال الفردي وإنما ينبغي أن تتوحد الجهود وتتضامن لتحقيق ذلك.

فالتواصل مع الآخر هو الحل لخروج الإنسان المعاصر من أزماته المتعددة، لأن الذات في حاجة إلى تحطيم وحداتها، والانتصار على حدودها، والتحرر من قيودها. فليس أن نراها تضيق ذرعا بشؤونها الخاصة، وتدس انفها في شؤون غيرها، وتجد لذة كبرى في

1- درقام نادية: **التواصل مع الأخر ضرورة تاريخية في مجلة مشكلات الحضارة**، (العدد3، 2015)، ص53.

2- ألبير كامو، **الطاعون**، ص252.

3- اريك فروم، **كينونة الإنسان**، ص114.

الاهتمام بمسائل الآخرين...فلا غرابة في أن نرى الذات تتفتح نافذتها على مصرعيها لكي تشغل نفسها بالتطلع إلي وجوه المارة والتمتع برؤية النماذج البشرية التي تتولي تحت سمعها وبصرها [1]. معناه آن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين لأن الأخر هو مصدر سعادته وآماله في غد جديد وحياة أفضل، فالتضحيات التي يضحي بها الآخرين هدفها إسعاد الآخرين ومساعدتهم على الاندماج في المجتمع من جديد، فالتضامن إذن عامل من عوامل إعادة شمل المجتمع والتواصل مجدد بين أفراده لتحقيق الاستمرار والتكيف وممارسة حريتهم بإرادة واعية دون التعرض إلى الضغوطات.

المبحث الثالث: الفن والتحرر من اللامعقول

1- مفهوم الفن:

الفن مصطلح يطلق على ما يساوي الصنعة، ويقابل العلم الذي يهتم بالجانب النظري، وهو تعبير خارجي عما يحدث في النفس من بواعث وتأثيرات بواسطة الخطوط أو الألوان أو الحركات أو الأصوات أو الألفاظ، ويشمل الفنون المختلفة كالنحت والتصوير والفنون الحرة. والفن مصطلح أطلق على مواد الدراسة السبعة في المدارس اللاتينية، وهي النحو والبلاغة والمنطق ثم الحساب والهندسة والفلك والموسيقي، وهو في الفلسفة الانتقال الوجود إلى اللاوجود، ويقابل الحدوث الذي هو الانتقال من اللاوجود إلى الوجود [2].

والفن بالمعني العام جملة من القواعد المتبعة لتحصيل غاية معينة جمالا كانت أو خيرا أو منفعة، فإذا كانت هذه الغاية تحقيق الجمال سمي الفن بالفن الجمالي، وإذا كانت تحقيق الخير سمي الفن بفن الأخلاق، وإذا كانت تحقيق المنفعة سمي الفن بالصناعة. ومعنى ذلك أن الفن مقابل للعلم، لأن العلم النظري والفن عملي مضاد للطبيعة من حيث أن أفعالها لا تصدر عن رؤية وفكر، والفرق بين الفن والعلم أن غاية الفن تحصيل الجمال وأن غاية أحكام الفن إنشائية فان أحكام العلم خبرية أو وجودية [3].

1- درقام نادية، **التواصل مع الأخر ضرورة تاريخية في مجلة مشكلات الحضارة**، ص67.

2- إبراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، ص ص 140-141.

3- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ص165.

أما الفن بالمعني الخاص يطلق على جملة من الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة الشعور بالجمال، كالتصوير والنحت والنقش والحساب والهندسة والفلك والموسيقي وقد سميت بالفنون الحرة لأنها تعد طلابها للمهن الحرة [1].

الفن ثلاثة أقسام، الفن الرمزي وهو الذي يقع فيه الفنان بالتعبير عن فكرته المجردة بالرموز والإشارات، لعجزه عن التعبير عنها بالصورة الحقيقية المطابقة لها، والفن الكلاسيكي وهو الذي يحاول تحقيق المطابقة الكاملة والانسجام التام بين الفكرة والصورة. أما الفن الرومانسي هو الذي يفصل الفكرة عن الصورة غير متناهية والصورة متناهية، ولأن الفكرة إذا كانت روحانية ومتعالية عن العالم المتطور كان من الصعب علي الفنان أن يعبر عنها بصورة مطابقة علي الفنان أن يعبر عنها بصور مطابقة لها كل المطابقة [2]. فالفن بصفة عامة وسيلة لجا إليه الكثير من الفلاسفة والمفكرين خاصة في العصر الحديث وهذا للهروب من العالم العبثي واللامعقول الذي أصبحت الحياة فيه شبه مستحيلة.

2- الفن وسيلة لمواجهة اللامعقول:

الفن وسيلة من وسائل مواجهة الوجود العبثي أو اللامعقول، فالفنان يلجا إليه لأنه يريد تغير الواقع وإعطائه صورة جديدة غير الصورة التي هو عليها وهذا ما حاول كامو إظهاره في قوله: "ما من فنان يستطيع الاستغناء عن الواقع والإبداع نشيدان وحدة ورفض العالم ولكنه يرفض العالم بسبب ما ينقص هذا العالم، وأحيانا باسم ما هو التمرد، فعلى الفن إذن أن يعطينا نظرة أخيرة على محتوي التمرد [3]". فالفنان يستغني عن الواقع لأنه في نظره غير كامل أي ناقص ومليء بالعبث واللامعقول فوجب إحداث تغيير عليه حتى يستطيع التكيف معه، والتحرر من معاناته ومأساته. ويضيف كامو أن الفنان يعيد صنع العالم على حسابه. إن سنفونيات الطبيعية لا تعرف نقطة الوقف، العالم لا يضمن أبدا وصمته بالذات يكرر أبدا نفسه الأنغام، بحسب اهتزازات المدركة فتعطينا اصواتا، وتوافقات صوتية في النادر، ولا تعطينا أبدا لحنا، مع ذلك فالموسيقي موجودة، حيث السنفونيات

1- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ص ص(166-165).

2- جميل صليبا، المرجع نفسه، ص 166.

3- ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص314.

تنتهي والتوافق الصوتي يعطي شكلا لأصوات لا تملك في حد ذاتها، وحيث يتسنى لوضع الأنغام في ترتيب مفصل أن يستخرج من الطبيعة وحدة يرضي عنها العقل والقلب [1].

معناه أن الفنان يحاول بفكره وخياله إعادة بناء الواقع بناء ينطلق منه من معطيات الطبيعة التي يراها غير منسجمة ويحاول إعطاءه أحسن صورة أي الصورة التي تجعله يشعر بالراحة والأمان، وهذا ما أكده ماركيز عندما قال "لقد كان الأدب والفن في جوهرها وقبل أن يملك المجتمع والثقافة إمكانية التصالح والانسجام استلا بين، وكانا يحميان التناقض يمحصانه قوته، أي أنهما كان يمثلان الضمير التعيس للعالم المنقسم والإخفاقات والآمال غير المتحققة والوعود المكوث بها. لقد كانا قوة عقلانية وعرفا نية وكانا يكشفان عن بعد للإنسان والطبيعة يقمعه الواقع ويردعه، وكانت حقيقتهما تكمن في الوهم الذي يوحيان به في إرادتهما المصرة على خلق عالم لامعقولية الحياة وأقصاه عنه وسيطر عليه لأنه عرفه. تلك هي معجزة الرائعة الأدبية والفنية إنها المأساة المكابدة حتى النهاية وهي في الوقت نفسه نهاية المأساة حلها المستحيل، فإن يعيش المرء حبه وحقده، أن يعيش حقيقته معناه الهزيمة والجحيم الذي بناه الإنسان للإنسان تصبح في العمل الأدبي أو الفني قوي كونية لا تقاوم [2].

فالفن أداة لتحرير الواقع من اللامبالاة واللامعقول، ويعطي للحياة معناها، فغايته إنما هي أن يعطي إحساسا بالشيء كرؤيا لا كتعرف، ومسلك الفن هو إفراد الأشياء أو إبراز ما تتفرد به، أو هو المسلك الذي يغلق الشكل بالغموض، ويجب أن يكون ممددا، الفن وسيلة إلى معاناة صيرورة الشيء، وما كان قد صار ليس ذا أهمية في نظر الفن [3]. فهو إذن وسيلة لتحرر من الاغتراب الذي يعيشه الفرد داخل مجتمعه ويحاول التمرد عن طريقه لتحقق سعادته وحريته وبالتالي التخلص من العبث واللامبالاة الموجودة في وجود العبثي محاولا إعطاء صورة فنية لمعايشته.

ومنه فالفن الحديث ليس تصوير العالم كما هو ولا هو اعتراف أو وصف في النفس البشرية، وليس أداة نتعرف من خلاله على شيء في الحياة الواقعية، إنما الفن الحديث أشبه بمرايا مقوسة تضلل عن الحقيقة الواقعية ولا تعكسها، بل هو سخرية من الواقع مرجعها

1- ألبير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص ص (318-317).

2- هيربرت ماركيز، **الإنسان ذو البعد الواحد**، ص97.

3- هيربرت ماركيز، **نحو ثورة جديدة**، ص ص(72-71).

اجتهاد الفنان في إضافة عالم عن العالم الواقعي [1]. الفن أداة السخرية من الواقع الذي سبب للإنسان المعاناة والمأساة، ومنه فهو ليس غاية وراء ذاته، وليس وسيلة للتسلية والترفيه واللذة وليس وسيلة للتوجيه والإصلاح الأخلاق وقد يلتقي أحيانا مع الأخلاق وأحيانا مع المطالبة واللذة ولكن غايته السامية هي أن يكون كالدين والفلسفة تعبيرا عن الإلهي، عن أرفع حاجات الروح واسمى مطالبها وقد وضعت شعوب في الفن اسمى أفكارها، وكثيرا ما يشكل بالنسبة إلينا الوسيلة الوحيدة لفهم ديانة شعب من الشعوب، ولكنه يختلف عن الدين والفلسفة بكونه يمتلك القدرة على إعطاء تلك الأفكار الرفيعة تمثيلا حسيا يضعها في تناولنا[2].

معناه الفن وسيلة لفهم عادات وتقاليد الشعوب ومحاولة أيضا لفهم ثقافة مجتمع عبر التاريخ ومعاناته وصراعه مع الوجود والحياة. فالفن مرآة تعكس حضارات الشعوب وما حققته من انجازات في تغيير الواقع من السوء إلى الأحسن، ويضيف كامو: "ومن المؤكد في التجربة التي أحاول أن أصفها وأركز على بعض أنماطها، إن عذابا جديدا ينبثق كلما مات عذاب آخر. والبحث الطفولي عن النسيان وجب الإشباع، هما الآن خاليان من أي صدى فكي يخلق الجمال عليه في الوقت نفسه أن يرفض الواقع، ولا يتهرب منه" [3]. فالفن يحاول تغيير الواقع وإضافة إليه أشياء تجعله أكثر وضوحا وبساطة، وهذا لا يمكنه أن يكون إلا إذا كان هناك فنان بارع قادر على إحداث التجديد والتغيير على الواقع العبثي. وهذا ما أكده كامو أيضا في قوله: "إن الفنان العظيم في هذا الجو قبل كل شيء أخر كائن عظيم، على أن نفهم أن العيش في هذه الحالة هو تجربة بقدر كونه انعكاسا، وهكذا فان العمل يجسد دراما عقلية، والعمل اللامجدي يوضح نبذ الفكر لكرامته واستسلامه لكونه لا شيء من الذكاء الذي يصنع المظاهر ويعطي كل الصور ما لا سبب له، ولو كان العالم واضحا فإن الفن لن يكون مجددا" [4].

معناه لو كان العالم واضحا للبشرية ولا يوجد فيه الغموض أو لامعقولية لما وجد الفن ليفهمه وبسطه، فمواجهة هذه الفوضى والعبث الموجودان فيه يكون عن طريق الفن، لأنه

1- أميرة حلمي مطر، **مدخل إلي علم الجمال وفلسفة الفن**، (القاهرة: دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2013) ص180.

2- علي أبو ملحم، **في الجماليات نحو رؤية جديدة إلى الفلسفة الفن**، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 1990) ص66.

3- البير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص ص (321-320).

4- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص 116.

الوسيلة التي تجعله يحتفظ بتوازنه وثباته، وهو وسيلة لإعطاء المعني للعالم. يقول كامو: "ما من فن يحيا على الرفض التام، فكما إن كل فكرة، وفي الطليعة فكرة اللامعنى، هي ذاته معنى، كذلك لا وجود لفن اللامعنى، يجوز للإنسان أن يفضح الجو التام في العالم، وأن يطالب حينئذ بعدالة تامة ينفرد بخلقها. ولكن لا يجوز له أن يؤكد دمامة العالم التامة [1]. فالفنان ينطلق من الواقع الذي يعيش فيه ويحاول بأشكال الفن المختلفة جعل العالم يظهر بصور جميلة.

ومنه فحقيقة الفن كما يقول "هيربرت ماركيز" تكمن في قدراته على التعويض احتكار الواقع القائم، ليعرف ما هو واقعي وبتكريسه هذه القطيعة التي في نتيجة الشكل الجمالي فيظهر عالم الفن الوهمي وكأنه هو الواقع الحقيقي [2]. معنى ذلك إن الفن يلعب دورا مهما في تحرير الإنسان من الواقع المستبد بالأشياء التي صنعها بنفسه والتي سيطرت عليه وأفقدته القدرة على التكيف معه وجعلته مغتربا.

إن إنسان العبث يقول نعم ... وكذلك الفنان .... انه يرفض ويتقبل، يرفض هذا العالم باسم ما فيه من عبث وخلوه من المعني وتفككه وفوضاه، وهو يقبل هذا العالم باسم الوحدة. والفنان لا يملك سوي التمرد على ما في العالم من عبث بإعادة تشكيله تشكيلا فنيا منظما، وهو يؤمن بما قاله "نيتشه" من أنه ليس ثمة فنان يستطيع أن يستغني تماما عن الواقع، إذن الفنان يرفض ما في العالم من نقص ورفضه يأتي من الواقع الجديد الذي سيدعمه، وعلى هذا فان رسالة الفنان ليست سوي إشباع الحاجة إلى الحرية والكرامة [3]. فالفن يساعدنا على إدراك العالم والتحرر من عبثية الوجود وتجاوزه عن طريق التمرد، لأن الفنان لا يستطيع أن يستغني عن الواقع وأن يتهرب من المجتمع، والفن إنما يعلمنا كيف ننشد عن طريق التمرد، تلك الوحدة الحقيقة التي ينطوي عليها الواقع في جانبه القدري الذي نسميه الجمال بواقعية شديدة [4].

فمهمة الفن إذن هي جعل هذا العالم مقبولا وقابلا للعيش والاستمرارية فيه، حيث يحمل الجمال وعدا يكمن في أن يجعل هذا العالم الفاني والمحدد مقبولا وأكثر تقبلا عن أي

1- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص 122.

2- هيربرت ماركيز، **البعد الجمالي**، ترجمة جورج طرابيشي، (بيروت: دار الطليعة، ط2، 1982)، ص18.

3- مجاهد عبد المنعم مجاهد، **أبعاد الاغتراب فلسفة الفن الجمالي**، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع)، ص120.

4- مجاهد عبد المنعم مجاهد، المرجع نفسه، ص121.

شيئا أخر، وهكذا يقودنا الفن في ارتداد إلى أصول التمرد ويحاول أن يعطي شكلا لما له قيمة [1]. ولهذا فان مطلب الفن هو جعل العالم كاملا ومنسجما، فالفن هو عمل الروحي يعبر هنا عن طبيعته الأصلية: أي أن يكون قادرا على الاستيلاء على الواقع بكامله لكي يكونه فعل [2]. فهو إذن في الحقيقة يتضمن القدرة على التحرر والتخلص من عبثية العالم من جهة ومن جهة أخري هو وسيلة لتوجيه العقل إلى الحقيقة.

وهذا ما أكده ماركيز في قوله: «إن المجتمع القائم ينظم كل اتصال عادي، فيوافق عليه أو يندد به تبعا لمقتضياته الاجتماعية، فان القيم الأجنبية عن المقتضيات الاجتماعية قد لا تجد وسيلة للتعبير عن نفسها غير الخيال، ذلك إن البعد الجمالي ما يزال ينطوي على حرية التعبير التي تتيح للكاتب والفنان أن يسميا الناس والأشياء بأسمائها، أي أن يسميا ما لم يكن تسميته عن طريق الآخر» [3]. فالعمل الفني يولد من رفض الذكاء أن يعلل الملموس تعليلا عقليا، وهو يشير إلى انتصار الجسد، والفكر الواضح هو الذي يثيره، بيدان ذلك الفكر بذلك العمل ذاته ينفي نفسه ولن يستسلم للإغراء المتمثل في إضافة معني أعمق ما يوصف معنى يعرف أنه غير مشروع. والعمل الفني يجسد دراما الذكاء، ولكنه يثبت هذا بصورة لا مباشرة فقط. والعمل اللامجدي يتطلب فنانا مدركا لهذه التقيدات والحدود وفنا لا يعني فيه الملموس أكثر من نفسه فلا يمكن أن يكون نهاية ومعني وتعزية حياة [4]. فدور الفن هو محاولة إضافة المعني للوجود العبثي الذي فقد معناه من خلال الأشياء التي صنعها وأضافها إلى الوجود والتي سيطرت عليه وجعلته يعيش مغتربا عن هذا العالم.

فالفن هو ليس غاية وراء ذاته، فهو ليس وسيلة للتسلية والترفيه وللذة وليس وسيلة للتوجيه والإصلاح والأخلاق، وقد يلتقي أحيانا مع الأخلاق وأحيانا مع المطالبة باللذة، ولكن غايته السامية هي أن يكون كالدين والفلسفة تعبيرا عن الإلاهي وعن أرفع حاجات الروح وأسمى مطالبة، لهذا وضعت الشعوب في الفن اسمي أفكارها، وكثيرا ما يشكل بالنسبة إلينا الوسيلة الوحيدة لفهم ديانة شعب من الشعوب، ولكنه يختلف عن الدين والفلسفة بكونه يكونه

1- مجاهد عبد المنعم مجاهد، **أبعاد الاغتراب فلسفة الفن الجمالي**، ص121.

2- جيرار برا، **هيقل والفن**، ترجمة منصور القاضي، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1993)، ص23.

3- هيربرت ماركيز، **الإنسان ذو البعد الواحد**، ص129.

4- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ص ص115-116.

ويمتلك القدرة على إعطاء تلك الأفكار الرفيعة تمثيلا حسيا يضعها في تناولنا [1]. فغاية الفن ليست فقط التسلية والترويح عن النفس إنما غايته هي محاولة التعريف بثقافات الشعوب وحضاراتها وطريقة تفكيرها للتكيف مع الوجود، فدور الفنان هو إعادة بناء العالم وتصحيحه وهذا ما أكده "كامو" ليس العالم الروائي سوي تصحيح لهذا العالم، وفق رغبة الإنسان الصميمية فالمقصود هو نفس العالم، العذاب نفس العذاب، وكذلك الكذب والحب [2]. ومنه فالفن وسيلة للتمرد على الواقع والتحرر من كل أشكال العبودية، لأن الفن يمكن صاحبه من الحرية.

كل عمل فني جدير بهذا الاسم سيكون بهذا المعني ثوريا، مادام يهدم تصور العالم وفهمه ويشهد ضد الواقع القائم ويرسم صورة التحرر الخارجية [3]. فمهمة الفن هي محاولة إخراج الإنسان من المأزق الذي أقحمته الحضارات التي أنتجاها والتي جعلته مجرد شيء فالفن إذن وعد بالتحرر، وهذا الوعد خاصية، وهو الأخر من خصائص الشكل الجمالي أو بتعبير أدق من الجمال بوصفه خاصية الشكل الجمالي، والوعد منتزع من الواقع القائم[4]. فخاصية الفن هي الدعوة إلى التحرر من الواقع العبثي واللامنطق للحياة والتطلع إلي الحرية والاستقلالية.

إن صفات الفن الجذرية وضع الواقع القائم موضع اتهام واستحضار صور جميلة للتحرر، ترتكز تحديدا على الأبعاد التي بها يتجاوز الفن تعيينه الاجتماعي وينعتق من عالم القول والسلوك المتواضع عليهما [5]. فالفنان يلجا إلى الفن للتحرر من كل الضغوطات سواء كانت اجتماعية أو نفسية أو اقتصادية أو سياسية ومن كل أشكال الحرمان والقهر العبودية الموجودة في المجتمع.

إن الفن أيضا شانه شان التقنية، يخلق عالما جديدا من الفكر والممارسة داخل العالم القائم بالذات، ويضع الأخير موضع اتهام ولكن العالم الفني، يعكس العالم التقني وهو عالم من الوهم، ولكن هذا الوهم مشاكل للواقع الموجود وعيد الواقع القائم ووعده في أن واحد. وإذا

1- علي أبو ملحم، **في الجماليات نحو رؤية جديدة الي فلسفة الفن**، ص66

2- البير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص32.

3- هيربرت ماركيز، **البعد الجمالي**، ص10.

4- هيربرت ماركيز، المرجع نفسه، ص59.

5- هيربرت ماركيز، المرجع نفسه، ص 18.

كانت حقيقة الفن ضعيفة وهمية، فإنها تشهد مع ذلك على صحة صور الفن وقيمتها باعتبارها أن هذه الصور هي صور لحياة لا قلق فيها والحق أنه كلما كان المجتمع القائم لا عقلانيا إذا كانت عقلانية العالم التقني أكبر [1]. معناه كلما كانت التكنولوجيا والتطور العلمي كبير كلما ازدادت معاناة الإنسان خاصة وان هذه التكنولوجيا هدفها في بعض الأحيان خلق الرعب والخوف في نفوس البشر على سبيل المثال امتلاك بعض الدول للأسلحة النووية المدمرة، فهذا ما يشكل خطر على أمن وسلامة الإنسانية في هذا الوجود العبثي، فدور الفنان إذن في هذه الحالة هو محاولة خلق صور جميلة عن هذه التكنولوجيا ومحاولة إعطاء صور فنية تريح النفس البشرية من الخوف من هذا التطور التكنولوجي.

يلجا الإنسان إلى الفن ليمرح ولينسي همومه وأحزانه، وهذا ما أكده نيتشه في قوله بأننا بحاجة إلى الفن النزق المنسدل والراقص والساخر والطفو لي والصافي، حتى لا تضيع تلك الحرية التي تجعلنا كذلك وأعلى من كل شيء. علينا أن نقاوم أنفسنا كي لا نسقط في مستنقع الأخلاق بفعل استقامتنا ونزاهتنا ونحلق ونلعب فوق الأخلاق، أيجدر بنا أن نحرم أنفسنا من الفن والجنون؟ إن من يمتلكه الخجل من ذاته لن يكون أهلا لذلك [2]. معناه أن الحياة لا يمكن أن تعاش في نظر "نيتشه" إلا عن طريق الفن فهو طريق إلى الترفيه والتسلية وتحطيم القيم البالية والتمرد عليها.

إن الفن هو ذلك الذي يهبنا الشعور بالحياة الخصبة المليئة في أقوى مظاهر شدتها وانتشارها، أعنى ذلك الذي يجعلنا نحس بأعمق ضروب الحياة الفردية والاجتماعية في وقت واحد [3]. فغاية الفن هي إعادة النفس والارتياح للنفس البشرية والشعور بالتحرر والاستقلالية لأن الفن هو الذي يعيد القيمة للعقل ويحرره من الوهم ومن كل الغرائز التي تجعله مقيد ولا يستطيع أن يترفع ويسمو عن الوجود العبثي. فالفن يتمتع بمقتضي شكله الجمالي بقدر واسع من الاستقلال الذاتي عن العلاقات الاجتماعية القائمة، وبحكم استقلاله الذاتي هذا يقف الفن

1- هيربرت ماركيز، **الإنسان ذو البعد الواحد**، ص ص (250-249).

2- فريدريك نيتشه، **العلم الجذل**، ترجمة سعاد حرب، (بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والتوزيع، الطبعة الأولى،2001) ص105.

3- زكريا إبراهيم، **مشكلات فلسفية3، مشكلة الفن**، (مصر: دار مصر للطباعة، 1900)، ص105.

موقف المعارضة من هذه العلاقات، وفي الوقت نفسه يتجاوزها [1]. فهدف الفن هو محاولة إصلاح الواقع العبثي.

فالفن الذي نراه في الحضارة المعاصرة هو فن ممزق، وهو يعبر عن المجتمع الممزق ولهذا فان الفن الحقيقي غير مسموح له بالتواجد، لأن منظومة الحضارة الآن تعتمد على قيم المتبادل، والذي لا يستطيع إدخاله في هذه المنظومة يبقي غير معترف به من قبل المؤسسات التي تؤثر في الواقع [2]. فعمل الفن إذن هو محاولة كشف الواقع العبثي والتعرف على أسباب لا معقوليته وسبب استحالة الحياة فيه من اجل إعادة إصلاحه وبناءه بعد تمزقه وتحطمه، حتى يستطيع الإنسان التكيف معه، فهو يحرره من معاناته ومأساته ويجعله يتطلع إلى الأفق أي إلى حياة أفضل تعمها السعادة والرفاهية. ويضيف كامو بأن الفن: "هو عدمي يتخبط أيضا بين الشكلية والواقعية، فأما الواقعية فهي بورجوازية، مثلما هي اشتراكية. وأما الشكلية فتخص مجتمع الماضي حينما تكون تجريدا بلا مسبب، مثلما تخص المجتمع الذي يدعي من المستقبل، وإذا ذاك تعرف الدعاية، إذا تحطمت اللغة بالإنكار اللاعقلاني، تلاشت في الهذيان اللفظي، وإذا خضعت للفكر التقليدي، تلخصت من الشعارات بين هاتين الحالتين يقع الفن "[3]. فظهور الفن كان نتيجة الأنظمة الاقتصادية والسياسية المتناحرة حول ملكية العالم والتحكم فيه والتي ساهمت بالدرجة الأولى في تحطيم القيم والأخلاق والمثل العليا التي كانت سائدة في المجتمع، وجعلت الإنسانية تعيش في عالم غريب، عالم الأشياء الذي غابت عنه الأخوة والتضامن والتسامح، وهذا ما جعل الفنان يتخذ من فنه باب للتمرد والثورة على هذه الحياة المليئة بالعبث.

فالتمرد الفني إذن يقرب الإنسان من الواقع ويجعله يتحسس بمصيره، فالإبداع والخلق في العمل الفني هما في الوقت نفسه إبداع وخلق في التمرد، ونستطيع أن اذهب إلى القول بأن الفن يقرب الإنسان من الوعي الناصع بمصيره أكثر مما تصنعه الفلسفة [4]، فالفنان المتمرد يحاول أن يفهم الوجود العبثي من خلال فنه سواء كان نحتا أو رسما أو موسيقي أو شعر، أي محاول إيصال صور الوجود اللامعقول الذي يعيشه الإنسان من روتين

1- هيربرت ماركيز، **البعد الجمالي**، ص ص(8-7).

2- رمضان بسطوسي محمد، **علم الجمال مدرسة فرانكفورت ادورنو نموذجا**، ص ص(76-75).

3- البير كامو، **الإنسان المتمرد**، ص339.

4- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، ص149.

وفوضي ولا مبالاة من خلال جملة من التمردات الفنية التي تجعل الآخرين يتحسسون بذلك أي يولد لديهم الشعور بالواقع العبثي وكيفية الخروج منه ،فالعالم يعد غريبا لا سبيل إلي تغييره، ولكنه أصبح قابلا للتغير لا بل لإعادة خلقه من جديد، والتمرد طاقة خلاقة تعيد خلق العالم في كل لحظة من جديد كما تبدع قيما جديدة علي الدوام، عكس المحال فهو مجرد تكرار عقيم لا نهاية له ولا أمل في التخلص منه ،وفي مرحلتي المحال والتمرد يبقي مطلب الإنسان للوحدة في أساسه علي ما هو عليه، ولكن لا يطلبها الآن لكي يعاني محالية العالم ويستنفذ جهده في التحدي وحده، بل لكي يشكل هذا العالم من جديد علي صورة القيمة التي اكتسبها عن طريق التمرد، ويبقى الدافع إلي طلب الوحدة في الحالتين واحد لا يتغير نعني به المحافظة علي كرامة الإنسان والإبقاء علي عزته الميتافيزيقية وليس الفن إلا شهادة التي تنطق بهذه الكرامة والعزة الإنسانية، اللتين تتكشفان في التمرد علي المصير المحال وفي الإصرار على مواصلة الجهد العقيم [1]. فالتمرد الفني يعمل على إعادة الكرامة والقيمة للحياة حتى يستطيع الإنسان الاستمرار فيها وممارسة حريته دون ضغوطات أو قيد.

فالفن بهذا المعني هو الأمل الذي يمكن من خلاله المحافظة على استقلالية الفرد من طغيان عقل السلطة والهيمنة الذي يطبع كل الأفراد بطابعه، ويتجاوز الفن هنا مع الثقافة والدين كأخر الدفاعات التي يمكن أن يحتمي بها الإنسان ضد غزو الحياة الاستهلاكية والتي تنذر بالقضاء على العقل. فالفن في هذه الحالة يعطي للفنان الأمل في حياة أفضل فهو يحرره من كل القيود التي تقيده وتقيد فكره.

فالإنسان يتحرر حين يجد العمل الفني يمثل له أهواءه الذاتية وغرائزه فيتبدي للإنسان ما هو كائن عليه، فيعي كينونته ويتحرر.... بل إن الفن حين يحول الأهواء الإنسانية من خلال تشخيصها إلى موضوعات للوعي، فانه يجرد العواطف والغرائز من شدتها، وتموضعها يؤدي إلي جعلها خارجية بالنسبة له، وتخرج من حالة التركيز عليها وتعرض نفسها لحكمنا الحر [2]. الفن مهم جدا في حياة الإنسان النفسية بصفة عامة والفنان بصفة خاصة لأنه يحرره من المكبوتات ويساعده على تهذيب الغرائز والشهوات وتحقيق الرغبات.

1- عبد الغفار مكاوي، ألبير كامو، **محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، ص ص (150-149).

2- رمضان بسطوسي محمد، **علم الجمال مدرسة فرانكفورت ادورنو نموذجا**، ص78.

ومنه يمكن أن نقول ما من شيء سوي العمل الفني الذي يستطيع أن يرفع الزمان فهو وحده الذي يستطيع أن ينقل المتعة الفانية و يطبعها من جيل إلي جيل، فيضفي طابع الدوام علي ما من شانه أن يعبر ويزول وأن يهب الفنان نفسه ذلك الخلود الزائل، وهو الخلود الوحيد الممكن في هذا العالم الفاني، ويظل الفن، على الرغم من هذا التعالي الظاهري هو المجال الوحيد الذي يستطيع التمرد فيه أن يحرز الانتصار الكامل، الفن وحده الذي يستطيع أن يجعلنا نعيش هذه الأبدية الزائلة، هذه اللحظة التي تلتقي فيها أبعاد الزمن الثلاثة في حضور نادر وفريد وسعيد.[1] فالفن يعمل علي تشخيص أمراض الحضارة وتقديم الدواء لها لان الفن هو قوة الاحتجاج الإنساني ضد قمع المؤسسات التي تمثل الهيمنة الاستبدادية [2]. أي الفنان يعمل على كشف مسببات تراجع الحضارة وانهيارها عبر كتاباته الفنية والروائية ليساعد الإنسان على ضرورة الاندفاع والاحتجاج على كل ما هو منافي للعقل والحرية والإرادة حتى يتخلص من العبودية والهيمنة. فالعمل الفني يقوم في جوهره على تلك القطيعة التي يقيمها على المبادئ التي يقوم عليها الواقع الفعلي، وخلق منطق أخر الذي يتمثل في تقنيات الشكل في العمل الفني، نواجه به منطق التسلط الذي يمارسه العقل في الحياة اليومية[3]. فالفن إذن ملجأ للتحرر والاستقلالية، أكثر من ذلك فهو طاقة لمحاربة به كل أنواع الظلم والاستبداد والعنصرية، فهو مصدر توعية الإنسان وإرشاده إلى كيفية ممارسة حريته وإعادة بناء القيم الأخلاقية بالوعي والإرادة حتى يستطيع معرفة مكانته داخل المجتمع.

1- عبد الغفار مكاوي، **ألبير كامو محاولة لدراسة فكره الفلسفي**، ص152.

2- رمضان بسطوسي محمد، **علم الجمال مدرسة فرانكفورت ادورنو نموذجا**، ص76.

3- رمضان بسطوسي محمد، **المرجع نفسه**، ص87.

الخاتمة

خـــاتمة

لقد كان لفكرة اللامعقول دورا فعالا في تاريخ الإنسانية خاصة في أوروبا نتيجة الأوضاع التي كان الإنسان يعيشها منذ الحروب العالمية وحتى يومنا هذا، وكان هدفها تسليط الضوء على تراجع القيم والأخلاق في بناء العلاقات الاجتماعية والإنسانية، وانتشار الفوضى واللامبالاة والعنف، محاولة لدراسة حالة الإنسان وهو يعيش في حالة الاغتراب والانعزال عن مجتمعه خاصة بعد الحرب العالمية الثانية رغم التطور المادي الذي يعيشه والانجازات التي حققها إلا انه ما يزال إلي يومنا هذا يعامل من قبل الأخر معاملة الشي والأداة، فهذه التكنولوجيا العظيمة التي أوجدها بفكره وجهده أصبحت نقمة وليست نعمة عليه، فهو مسيطر بسببها فليس له القدرة والإرادة لكي يتحكم فيما صنعه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حاول "كامو" أن يبين التناقض والتنافر الموجود في المجتمع بسبب تغلب الطابع الأناني والحقد الذي جعل الإنسان ينسلخ عن إنسانيته ولا يبالي بأخيه الإنسان وهذا ما أدي إلى انتشار ظاهرة الاغتراب والانعزال وعدم التواصل مع الأخر لأنه مصدر الألم في نظر الآخر، ولهذا كانت لهذه الفلسفة أبعادا أخلاقية تهدف إلى نشر العدالة والتسامح والتضامن في المجتمع ومحاربة العنف والاضطهاد والعنصرية، ولقد انطلق "كامو" من أن الوجود الذي يعيشه الإنسان وجود عبثي مليء باللامبالاة واللامعقول، وقد استخلص هذا الموقف من خلال تأثره بالأوضاع النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي كان يعيشها مجتمعه إضافة، إلى تأثره بنتائج الحربين العالمتين الأولى والثانية وما خلفتهما من دمار وخراب في كل المجالات والألم والمعاناة والمأساة والتشتت والفراغ الديني الذي عاشته الإنسانية، كل هذه النقاط جعلته ينظر إلى العالم والوجود بصورة عبثية، وأن الحياة فيه شبه مستحيلة إذا بقي الإنسان واقفا دون حركة وبذل جهد لمواجهة هذه العبثية. هذا الموقف الذي يؤكده كامو في الحقيقة هو واقع لا مفر منه خاصة بعد امتلاك القوي العظمي للسلاح النووي، وانقسام العالم إلى كتلتين شرقية وأخرى غربية، هذا الانقسام والتشتت أدي بضرورة إلى شعور الإنسان بالاغتراب والخوف والاكتئاب من عدم الاستقرار وتوفير الأمن الذي هو منبع حياة الإنسان، وهذا الواقع المؤلم الذي حاول كامو أن يفسره من خلال كتاباته هذه في الحقيقة هو دعوة البشرية إلى ضرورة التفطن ومراجعة أفكارها وتصرفاتها التي جعلتها تلجا إلي الهروب من الواقع وعدم معايشته عن طريق الانتحار سواء جسديا أو فلسفيا. هذا الموقف بالضبط رفضه كامو لأنه لا يصلح كحل لمواجهة

اللامعقول، وإنما على الإنسان أن يواجه الحياة العبثية والواقع اللامعقول عن طريق التمرد والثورة والتضامن والفن، والهدف من ذلك هو إعطاء المعنى للحياة وللعالم واسترجاع كرامته وحريته وإنسانيته.

فكامو إذن في فلسفته هذه يدعو البشرية إلى ضرورة جعل معنى للوجود من خلال التمرد على الأنظمة الموجودة التي لم تحقق له حياة فيها الأمن والاستقرار خاصة وأن أزمة القيم التي انتشرت في العالم المعاصر كانت نتيجة انعدام سياسة الأخوة والسلام والوئام بين البشرية رغم أن هذه الأنظمة قامت من أجل تحقيق ذلك، إلا أنها لم توفق بسبب مصالحها الشخصية التي عملت على تحقيقها على حساب مصالح الضعفاء، فهي في الحقيقة مجرد شعارات أو حبر على ورق، وعليه فاللامعقول هذا هو تصوير للإنسان المعاصر المضطهد والمستبد والمظلوم، الذي يحاول أن يحقق حياة أفضل تعمها الحرية والرفاهية، إلا أنه لم يستطيع بسبب التطور التكنولوجي والصناعي الذي جعله كالشيء الذي لا يملك إنسانيته، فقد جرد منها، وهذا ما يؤكده الواقع اليوم أين الإنسان يقتل أخاه الإنسان بلا رحمة ولا شفقة وأعضاؤه يتجر بها في الأسواق السوداء، فهذه الفوضى والعبثية لم يفرضها الواقع أو العالم إنما فرضها الإنسان بنفسه من خلال استعماله السيئ للعلم والتكنولوجيا. فكامو إذن لم يصطنع هذه الفلسفة من خياله، وإنما من خلال تعايشه واحتكاكه مع مجتمعه وحياته الشخصية أي من خلال شعوره بالاغتراب والمرض وانهيار القيم الأخلاقية التي هي أساس الحياة الاجتماعية والإنسانية، خاصة بعد انتشار الأنظمة الاستبدادية والانتهازية التي تعمل على جعل البشرية تعيش الألم والمعاناة، فكان هدفه دعوة إلي التحرر والتخلص من هذه الأنظمة عن طريق الثورة والتمرد والفن، لأن ميزة الإنسان حبه للحياة والتعلق بها من أجل التغلب على قوانين الطبيعة والتحكم فيها ومواصلة الحياة التي تعتبر نعمة وليست نقمة على البشرية.

وعليه يمكن أن نقول إن "كامو" فيلسوف التمرد والثورة قد كشف لنا أن الحياة لا يمكن أن تعاش بسبب العبث واللامعقول، وأن مواجهتها له لا تتم إلا بالثورة والتمرد والتضامن والفن. إلا أنه يمكن أن نقول إن فلسفته هذه بمختلف مفاهيمها هي مجرد أفكار، وأن الحلول التي جاء بها للقضاء على الوجود العبثي غير كافية وهي متناقضة فتارة يدعو إلى التمرد والثورة وهذه الأخيرة قد تؤدي بعدها إلى خلق عالم أخر مليء باللامعقول والعبث بسبب الفوضى

والدمار الذي تتركه، وتارة أخرى يفضل التضامن والفن لتحقيق عالم خال من العبث أي عالم له معني وقيمة يمكن الإنسانية من التكيف والاستمرار فيه. هذا الموقف الذي اتخذه كامو هو موقف غير منطقي لا يمكن للأخلاق أن تتأسس على الفوضى واللامبالاة لأن الأخلاق لها أسس ومبادئ تتأسس عليها. فأفكاره إذن متناقضة ومتنافرة، تارة يقر أن الحياة في هذا الوجود ليس بها معني ويدعو في نفس الوقت إلى إيجاد معنى لها، فمدام العالم غير معقول فكيف نستطيع أن نجعل للحياة معني؟ وهذا التناقض يتعلق بمفهومه المركزي للعبثية وبقبول الفكرة الأرسطية أن الفلسفة تبدأ بالاندهاش أو التساؤل، فان كامو يحاجج أن الإنسان لا يمكنه الهروب من السؤال: ما معنى الوجود؟ ولكن ينكر مع ذلك الجواب على هذا السؤال ويرفض أي نهاية علمية أو ميتافيزيقية مصطنعة بواسطة الإنسان، بحيث يمكن أن يعطي جوابا كافيا ومنه لا يمكن الاعتراف باللامعقول لأن الاعتراف به هو قتل روح الإبداع والتفكير والدعوة إلى الجمود والركود.

وعليه يمكن أن نقول إن للحياة معني وقيمة وعلى الإنسان آن يعطي لها حقها في ذلك، وهذا لا يتم إلا بالمحافظة عليها عن طريق محاربة كل أشكال العبودية وإعادة بناء الأخلاق وتوعية البشرية بأهميتها والابتعاد عن أساليب العنف والقوة والحروب لممارسة الحرية. فكشف الوجود والتكيف والاستمرار فيه يتم عن طريق الوعي والإرادة وتحمل المسؤولية، فعلى الإنسان أن يفرض نفسه بالوسائل السلمية كالحوار والتسامح والتضامن والتواصل مع الأخر.

قائمة المراجع والمصادر

قائمة المصادر والمراجع

1- قائمة المصادر:

أولا: قائمة المصادر باللغة العربية

1- ألبير كامو، أسطورة سيزيف، تر: أنيس حسين، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة 1983.
2- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، تر: نهاد رضا، بيروت، منشورات عويدات، ط3، 1973.
3- ألبير كامو، الطاعون، تر: عبد الرحمن مزيان، الجزائر، بجاية، دار تلانتيقيت للنشر والتوزيع 2014.
4- البير كامو، عشب الأيام مفكرة الثالثة، تر: نجو بركات، بيروت دار الأدب للنشر والتوزيع ط1، 2013.
5- ألبير كامو، كاليغولا، تر: يوسف إبراهيم الجهماني، دمشق، دار الحوران للطباعة والترجمة والنشر، دط، دس.

ثانيا: قائمة المصادر باللغة الفرنسية

1- Albert Camus, Interview, in théâtre, récite, nouvelles, bibliothèque de la Plecade ,Gallimard, paris, 1962.
2- Albert camus, les justes, Édition Gallimard, paris, 1950.
3- Albert camus, l'étranger, Édition Gallimard, paris, 1950
4- Albert camus, l'envers et l'endroit, Gallimard, Paris, 1958.

2- قائمة المراجع:

أولا: باللغة العربية

1- اريك فروم، كينونة الإنسان، تر: محمد حبيب، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1 2013.
2- آليا الحاوي، بيكيت في مسرحه ومسرحياته، بيروت، دار الثقافة، 1985.
3- أميرة حلمي مطر، مدخل إلى علم الجمال وفلسفة الفن، القاهرة، دار التنوير للطباعة والنشر ط1، 2013.
4- إميل دور كايم، الانتحار، تر: حسن عودة، دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية، ط1 2011.

5- باميير جاكسون، الدراما في القرن العشرين، تر: فتحي مر لويس عوض، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
6- جرمين بري، ألبير كامو، تر: جبرا إبراهيم جبرا، بيروت، مطبعة المتوسط،19.
7- ج. ل. ستيان، الدراما الحديثة بين النظرية والتطبيق، تر: محمد جمول، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1995.
8- جون بول سارتر، الغثيان، تر: سهيل إدريس.
9- جون بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم الحنفي، بيروت، مطبعة دار المصرية، ط1، 1964.
10- جون كروكشانك، ألبير كامو وأدب التمرد، تر: جلال العشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.
11- جيرا برا، هيغل والفن، تر: منصور القاضي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1993.
12- حسن حماد، الاغتراب الوجودي، مكتبة الانجلو المصرية.
13- خليل احمد خليل، علم الاجتماع وفلسفة الخيال، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1 1997.
14- ديفيد زين ميروفتيش الن كوركوس، أقدم لك ألبير كامو، تر: إمام عبد الفتاح إمام القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، 2002.
15- ديفيد شيرمان، البير كامو، تر: عزة مازن، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1 2011.
16- رمضان بسطوسي محمد، علم الجمال مدرسة فرانكفورات ادورنو نموذجا، القاهرة مطبوعات نصوص90، ط1، 1993.
17- رجر البيريس، الاتجاهات الأدبية الحديثة، تر: جورج طرابيشي، دون مكان، منشورات عويدات ،1965.
18- رجب محمد، الاغتراب سيرة ومصطلح، القاهرة، دار المعرف، ط1، 1993.
19- رونالد اروسنوس، كامي وسارتر، تر: شوقي جلال، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، دط، 2006.
20- زكرياء ابراهيم، مشكلات فلسفية3، مشكلة الفن، مصر، دار مصر للطباعة، 1900.
21- زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، بيروت، دار الشرق.

22- سامي خشبة، قضايا المسرح المعاصر، بغداد، دار الحرية للطباعة ،1977.

23- ستيفن برونر، النظرية النقدية، تر: سارة عادل، القاهرة، مؤسسة الهنداوية للتعليم والثقافة ط1، 2016.

24- سيغموند فرويد، الحب والحرب والحضارة الموت، تر: عبد المنعم الحنفي، القاهرة، دار الرشاد، ط1، 1992.

25- سيغموند فرويد، حياتي والتحليل النفسي، تر: مصطفي زيورو عبد المنعم المليجي، دار المعارف، ط1.

26- عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، بيروت، المؤسسة العربية للنشر، ط1 1980.

27- عبد الرحمن بدوي، نيتشه، الكويت، وكالة المطبوعات شارع فهد السالم، 1975.

28- عبد الغفار مكاوي، البير كامومحاولة لدراسة فكره الفلسفي، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.

29- عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، مصر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1985.

30- عبد الله إبراهيم، المطابقة والاختلاف المركزية الغربية" إشكالية التمركز حول الذات" بيروت المركز الثقافي العربي، ط1، 1997.

31- عبد الله الخطيب، الحضارة والاغتراب، بيروت، الينبوع للطباعة والتوزيع، ط1، 1988.

32- عبد الله زكي، من التمرد إلى الانتحار، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1986.

33- عبد المعطي الخفاف، المعقول واللامعقول، دون مكان، دار الشرق، 1999.

34- علي ابو ملحم، في الجماليات نحو رؤية جديدة الي الفلسفة، بيروت، المؤسسة الجامعية لدراسة والنشر والتوزيع، ط1، 1990.

35- غاستون بشلار، جدلية الزمن، تر: أحمد خليل، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1992.

36- فريديريك نيتشه، إنسان مفرط في إنسانيته، تر: محمد الناجي، بيروت، إفريقيا الشرق ج1 2002.

37- فريديرك نيتشه، العلم الجذل، تر، سعاد حرب، بيروت، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2001.

38- فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، الإسكندرية، مطبعة جريدة البصير، دط ،1938.

39- فيودور دوستويفسكي، الإنسان الصرصار آو رسائل من أعماق الأرض، تر: أنيس زكي حسن، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1959.

40- كمال بومنير، اكسل هونيث فيلسوف الاعتراف، بيروت، منتدى المعارف، ط1، 2015.

41- كولن ولسن، اللامنتمي، تر: علي مولا، بيروت، دار الأدب، 2003.

42- كولن ولسن، ما بعد اللامنتمي، تر: يوسف شرور عمر، بيروت، منشورات دار الادب ط5 ،1981.

43- مارك جيمنير، الجمالية المعاصرة، تر: كمال بومنير، بيروت، منشورات ضفاف، ط1 2012.

44- مجاهد عبد المنعم مجاهد، ابعاد الاغتراب وفلسفة الفن الجمالي، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

45- محمد ثابت الفندي، مع الفيلسوف، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1 1974.

46- محمد شفيق شيا، في الادب الفلسفي، بيروت، ط1، 1980.

47- محمد يحياتن، مفهوم التمرد عند كامو وموقفه من الثورة الجزائرية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.

48- مصطفي حجازي، الإنسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، دار البيضاء المغرب المركز الثقافي للنشر والتوزيع، ط1، 2005.

49- نادية البنهاوي، بدور العبث في التراجيديا الإغريقية وآثرها على المسرح، دون مكان الهيئة المصرية العامة، دط ،1998.

50- نهاد صليحة، التيارات المسرحية المعاصرة، دون مكان، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997.

51- هيربرت ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابيشي، بيروت، دار الأدب ط1 1988.

52- هيربرت ماركيوز، البعد الجمالي، تر: جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، ط2 1982.

ثانيا: باللغة الفرنسية

1- Eugne Lonesc, notes et contre notes, édition Gallimard, paris, 1962.

2- George Geodert, Albert et la question du bonheur, saint Luxembourg, 1969.

3- Henri Gohier, le théâtre et l'existence, édition Montaigne, paris 1952.

4- Marcel Melancon, Albert camus analyse de sa pense, édition universitaires faboug, Suisse lebrairi eklinck sieck, paris, 1976.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم

أولا: باللغة العربية

1- اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل، منشورات عويدات بيروت باريس، ط2، المجلد الأول،2001.

2- ابن منظور، لسان العرب المحيط، بيروت، دار لسان العرب، ج4، 1988.

3- إبراهيم مدكور، معجم الفلسفة، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1982.

4- إبراهيم مصطفي واحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط.

5- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، ج2، 1982.

6- عبد الواحد لؤلؤ، موسوعة المصطلح النقدي اللامعقول، المجلد الأول، ط1.

7- محمد بن مكروم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، ج1.

8- مريم حير فريحات، الحس الاغترابي في أعمال روائية، في مجلة جامعة دمشق، العدد الثالث والرابع، المجلد الأول، 2010.

ثانيا: باللغة الفرنسية

1- patrice paris, dictionnaire du théâtre, Edition sociales, 1987.

رابعا: قائمة المجلات

أولاً: باللغة العربية

1-احمد عبد الله العبد النبي، التكعبية والسريالية، في مجلة الواحة، العدد 39، 2007.

2-ادم قبي، رؤية حول العنف السياسي، في مجلة الباحث، عدد1، 2012.

3-بن عبد الله غنية، الانتحار بين الفلسفة والمعني، في مجلة مشكلات الحضارة، العدد3، الجزائر 2015.

4-درقام نادية، التواصل مع الأخر ضرورة تاريخية، في مجلة مشكلات الحضارة، العدد3 2015.

5-علاء الدين العالم، تيار العبث بين الفلسفة والمسرح، في مجلة دلتانون، العدد1، 2014.

6-كمال بومنير، هارتموت روزا اليسارع والاغتراب نحو نظرية جديدة للحداثة المتأخرة، في مجلة دراسة فلسفية، العدد10، 2014.

7-نبيل مراد، مسرح العبث فلسفة وتقنية، في مجلة الفكر المعاصر، 1985.

ثانيا: باللغة الفرنسية

1- Dimitris Papamulami, Albert camus et la pensée grecque, Revue de la méditerrané ,1959.

خامسا: بيوغرافيا

1- اعداد الندوة العالمية لشباب الاسلامي، السريالية، صيد الفوائد. http/www.saaid.net/freap/mathahk

2- زهير الخويلدي، الفرق بين التمرد والثورة. www.arabtimes.com

3- سعيد الدوسري، العبث بالممتلكات العامة إلى أين؟ .www.alahaq.net.sa

4- الفرويدية أو مدرسة التحليل النفسي .www.ahwar.org

5- عبد الله القصيمي، المقولات الوجودية .www.alhwar.org

6- فاطمة الشدي، عن الكارثة الوعي الإنساني وعذابات الكائن الهش .www.alhewar.org

7- يوسف السيد احمد، مسرح العبث.http//artist.bada.org